القِصَّةُ القُرْآنيّةُ وسيلةُ دعويةُ

" قصةُ سُليمانَ (عليه السلامُ) والهُدهُد نموذجاً "

إعداد الدكتور

خالد السعيد السيد سليمان

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالمنصورة

مقدمة

أحمد الله ، وأصلى وأسلم على الخاتم سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فإن الدعوة إلى الله تعالى أحسن الأقوال ،قال الله تعالي : " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ "([1]) ، وهي أيضاً أحسن الأعمال إذ هي مهمة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،وميراث أتباعهم إلى يوم الدين .

ميدانها رحب واسع ، مصادرها كتر ماتع، ودرسها عظيم نافع ، يوجب النظر والتّأمّل ، والتّدبُّر والتّعقُّل فيما بين ثناياها من دروس ، وتوجيه مختلف النفوس ، لتستفيد منها الدعوة ، ولتقام للمسلمين دولة .

وأول هذه المصادر وأعظمها : القرآن الكريم إذ هو الكلم الطيب الذي لا يعتريه نقص ولا تحريف ولا تبديل ولا تزييف ،تأمُّل الدعاة له فرضٌ لازم، وعملهم بمقتضاه واجب حاتم ، قال الله – تعالى – " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ([2]) .

---

[1]) سورة فصلت الآية ٣٢.

[2]) سورة محمد : آية ٢٣.

وأعظم مواطن ذلك المصدر مما تحتاج إلى التأمل والتفكر : مواطن القصص ؛ حيث الدروس والعبر في تاريخ البشر ،وما تحويه من دروس دعوية، وعبر تاريخية ، وحكم وعظية ، وما يبدواْ فيها من ارتفاع وانخفاض ، وبسط وانقباض ، وبقاء وانقراض ، ففيها تاريخ الدعوة واضح ، وموقف المعاندين فاضح ،وإناء النصرة للمؤمنين ناضح ، قصّها الله تعالى تثبيتاً للأفئدة، وتقوية للأوردة ، ومأدبة للدارسين ومائدة ،ولم يدَع دونها شاردة ولا واردة ، تذكيراً بالإيمان ، وعظة لبـــــــــنى الإنسان ،قال الرحيم الرحمن :"وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ"(١)

ومن ثم وجدتُ حاجةً في نفسي – شديدة – تدعوني للنظر والتأمل في قصص القرآن الكريم مصطفياً منها قصة سليمان – عليه السلام – مع الهدهد ، أتأمل وأتدبّر ، وأتّعظُ وأتذكّر ، فرأيتُ أن لا أحرم نفسي والقارئ من فائدة ، ثمارها عليّ وعليه عائدة ، راجياً ثوابها ، متمنياً صوابها ،منتفعاً وسائر الدعاة بها ، حتى خرج البحث على النحو الذي تري .

مقسَّماً إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة ، وذلك على ما يلي :

التمهيد : ويشتمل على التعريف بمصطلحات الدراسة

---

١) سورة هود من الآية ١٢٠ .

المبحث الأول : القصة والدعوة .

المبحث الثاني : حوار سليمان عليه السلام مع الهدهد

المبحث الثالث : الهدهد الداعية

المبحث الرابع : حكمة سليمان عليه السلام في الدعوة

الخاتمة : وتحتوي على أهم نتائج البحث والدراسة

والله أسأل أن يجعل عملي هذا صالحا ولوجهه خالصا ؛ إنه على كل شيء قدير .

إعداد الدكتور

خالد السعيد السيد سليمان

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالمنصورة

التمهيد

وفيه يدور الكلام حول مصطلحات الدراسة ببيان معنى (القصة – القرآنية – الوسيلة – الدعوة – التعريف بسليمان عليه السلام – الهدهد) وذلك على النحو التالي:

أولاً : القصة

يأتي فعل القصّ بمعنى التّتبع ، وقد جاء في الصحاح : قصّ أثره، أي تتبعه ، قال الله تعالى: ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾(١).أي تتبعاً، وكذلك اقتصّ أثره، وتقصّص أثره ، وقد قصصتُ الحديث: رويتُه على وجهه. (٢)

وقصّ الشعر على هذا يعنى تتبعه حتى يؤخذ من طويله لقصيره ، ومنه ما جاء في حديث سنن الفطرة عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء

---

١) سورة الكهف من الآية رقم ٦٤ .

٢)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري٣/١٠٥١ ، طبعة دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م.

قـــــــال زكرياء ، قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ([1]) ، ومعنى القص للشوارب والأظفار هنا تتبع طويلها بغرض التهذيب والتقصير .

ومن معانى القصّ : التعليم والتبيين ، فقد جاء في القاموس المحيط :

قَصَّ الخَبَرَ : أعْلَمَهُ وفصَّله وبيّنه ، وقوله تعالى " نحنُ نَقُصُّ عليك أحْسَنَ القَصَصِ" ([2]) : نُبَيّنُ لك أحْسَنَ البَيان ([3]) .

والقصة على هذا المعنى تحوى التّتبع والبيان لأمورٍ أو أحداث تهمّ القاصّ أو المقصوصة عليه ، مسلسلة مرتبة، بقصد التعلّم في الغالب ، وهو ما توافر معنا بقصة سليمان – عليه السلام – مع الهدهد حيث بدا التّتبّع والتسلسل في أحداث القصة حتى اكتملت فائدة ذكرها واجتمع أمر أطرافها، بما حقق التعلّم واستحق التأمّل ، وقد تخلل ذلك من الدروس الدعوية مالا يخفى ، وهو محور الدراسة في هذا البحث إن شاء الله .

---

١) صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة ٢٢٣/١ (٢٦١) طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

٢) سورة يوسف من الآية رقم ٣.

٣) القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ا/ ٨٠٩ طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

ثانيا :القرآنية

وهـــى النسبة إلي القرآن الكريم ، والنسبة هنا تفيد التلازم ، وأعني بذلك : القصة الواردة في القرآن الكريم

إذ هو كلام رب العالمين ، المنزّل على الرسول الأمين – صلى الله عليه وسلم– ليكون للعالمين نذيراً ، وفيه من العقائد والتشريعات ،والعلوم والمعارف، والآداب والأخلاق ما لا حدَّ لمنتهاه ، وبين طيّاته من أخبار الأوّلين والآخرين مما كان وما سيكون إلى يوم الدين ما لا يحصيه غيره ، وبه المنهج الواضح، والطريق السليم، والصراط المستقيم ، مَنْ سار عليه هُدى إلى الحق ، ومن دعا إليه فقد دعا إلى الصدق ، وقد اشتمل على الأمن والإيمان والطمأنينة والتوحيد، وانشراح الصدور، وهدوء الضمائر، وراحة البال ، مميَّزاً بالإعجاز والتحدي ، فليس لقوةٍ مخلوقةٍ ولو بلغت منتهاها أن تأتى بمثله أو بأقل سورة فيه ، كما أنه متعبد بتلاوته، ومحفوظ إلى يوم القيامة.

وهو في اللغة: مَصْدَرُ قرأَ بمعنى تَلا، قال الله سبحانه: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " (١) أَيْ (يقرؤونه كَمَا أُنْزِلَ) (٢) ومعنى حق تلاوته مراعاة

---

١) سورة البقرة الآية ١٢١.

٢) تفسير الجلالين ،جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ٢٥. طبعة دار الحديث – القاهرة ، الطبعة: الأولى

حدوده وحروفه والالتزام بأوامره ونواهيه كما (قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه– : وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَنْ يُحِلَّ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمَ حَرَامَهُ، وَيَقْرَأَهُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَلَا يُحَرِّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يَتَأَوَّلَ مِنْهُ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ) (١) ومنه قوله سبحانه : " قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"(٢) وفي معنى التلاوة ورد أنها (الْقِرَاءَةُ، وَالسَّرْدُ وَحِكَايَةُ اللَّفْظِ)(٣) ،وعلى هذا المعنى يكون القرآن مصدراً بمعنى اسم المفعول؛ أي بمعنى متلوّ .

وقد تأتي مادة قرأ بمعنى جمع ، فكأن القارئ بهذا جمع الحروف والكلمات المقروءة وضمها تباعاً حتى استطاع قراءتها ، تقول : (قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمى القرآن. لأنه يجمع السور فيضمها. ، وقوله سبحانه : " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ " أي جمعه وقراءته ، وقوله عز من قائل : "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " أي قراءته) (٤)

---

١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ١/ ٢٨٢. المحقق: محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

٢) سورة يونس الآية ١٦.

٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٥٧/٨ ، طبعة : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة ١٩٨٤ هـ .

٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،إسماعيل بن حماد الجوهري ٦٥/١ طبعة دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م ، والآيتان من سورة القيامة ١٧–١٨.

وقد تحقق في القرآن الكريم معنى الجمع ، إذ فيه جَمع القصَص والأمْر والنهي والوْعد والوعيد والآياتِ والسُّوَر ، والأخبار والأحكام بعضها إلى بعض ، والناظر لمعنى الجمع في نسبته للقرآن الكريم يلمح فيه الفاعلية ؛ أي بمعنى جامع كما قال الله تعالى فيه " مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" (١) ، أو المفعولية أيضاً ؛ أي مجموع؛ لأنه جُمع في المصاحف والصدور

حَمَى الله تعالى كتابه وحفظه من التغيير والتبديل ، والزيادة والنقصان، و تكفَّل بذلك ، فقال سبحانه :" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (٢) ، ولهذا ما حاول أحدٌ مسّه بسوءٍ سعياً في تحريفه أو تبديله إلا هتك الله تعالى ستره، وفضح أمره.

وهو مصدرُ الشريعةِ الإسلامية التي بُعِثَ بها محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى الناس كافَّة، قال الله تعالى:" تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً " (٣) ، وقال سبحانه: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ"(٤)

---

١) سورة الأنعام من الآية ٣٨.

٢) سورة الحجر الآية رقم ٩.

٣) سورة الفرقان الآية رقم ١.

٤) سورة إبراهيم من الآية رقم ١.

وعند أهل الشرع هو : كلام الله تعالى المعجز ، المنزّل على النّبي محمد صلّى الله عليه وسلم، باللفظ العربي، المكتوب في المصاحف، المتعبّد بتلاوته ، المنقول بالتواتر ، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس (١)

وفي القرآن الكريم من القصص والآثار ، والحِكَمِ والاعتبار ، والأماكنِ والأقطارِ ، والدروسِ والأسرار ، ما تضيق بذكره الأخبار فعن الحارث – رضي الله عنه – قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليّ ، فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال: وقد فعلوها ؟ قلت : نعم ، قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا " إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد " من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم

١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ١/ ١٣ ، طبعة دار الفكر المعاصر – دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ ه

به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم "([1]) ولهذا اعتُبر القرآن الكريم هو المصدر الأصيل للدعوة ، والمرشد الأسمى للدعاة ، ففي مادته الغزارة ، وفي فكرته الإفادة والإشارة .

ثالثاً :الوسيلة

مصدر للفعل (وَسَلَ) يسِلُ وسيلةً ووسلاً ، ومن معانيها :

١-في اللغة:

(وسِلَ) فلان إلى الله بالعمل (يسِلُ) وسلًا : رغب وتقرّب ([2]) فالوسيلة آلة أو طريقة يراد باتخاذها تحقيق الرغبة والوصول للمراد .

والوَسِيلة :القُرْبة ووَسَّل فلانٌ إلى الله وسِيلةً إذا عَمِل عملاً تقرَّب به إليه، والواسل : الراغب إلى الله، وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه به ([3])

---

[1]) سنن الترمذي ،محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي باب ما جاء في فضل القرآن ١٧٢/٥(٢٩٠٦) طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال ، والمعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني،٨٤/٢٠(١٦٩١٧) من طريق معاذ بن جبل – رضي الله عته– طبعة مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد

رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد وهو متروك ، انظر :مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي٣٤٢/٧(١١٦٦٤) طبعة دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ ه

٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار،١٠٣٢/٢. طبعة دار الدعوة .

٣) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ٧٢٤/١١،طبعة دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى .

والوسيلة ما يتقرب بها إلى الغير، والجمع وسائل ([١]) قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ " ([٢]) ، فالوسيلة هنا : هي التي يُتوصل بها إلى تحصيل المقصود ([٣]) ، .

وفي المفردات: الوسيلة هي التوصل إلى الشيء برغبة ، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربة ، والواسل : الراغب إلى الله تعالى ([٤]) .

وفي النهاية: الوسيلة هي ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به، وجمعها وسائل([٥]) .

٢ – الوسيلة في الاصطلاح:

للوسيلة في الاصطلاح عند علماء الدعوة تعريفات كثيرة نكتفي منها بالآتي:

---

١) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ١٨٤١/٥. طبعة دار العلم للملايين– بيروت. الطبعة: الرابعة– يناير ١٩٩٠.

٢) سورة المائدة، من الآية: ٣٥.

٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١٠٣/٣ ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

٤) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الأصفهاني ، ١/ ٨٧١ ، طبعة دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري٤٠٢/٥، طبعة المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

الوسيلة: هي ما يستعين به الداعي على تبليغ دعوته إلى الله تعالى على نحو نافع مثمر (١).

وقيل :الوسيلة: هي الطريقة التي يصل بها الأسلوب إلى المدعو(٢). فكل ما يتم به تبليغ الأساليب وحملها إلى المدعو على هذا يسمى وسيلة

وقيل : الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي: القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس(٣) .

ومفاد اعتبار القناة الموصلة أو الآلة المستخدمة وسيلة، أن الوسائل تتعلق بالماديات والمعنويات معاً ، ولهذا قيل في تعريفها: (ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمورٍ ماديةٍ أو معنويةٍ) (٤) .

ومما سبق أستطيع القول بأن الوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو

وعليه فلو نظرنا للقصة باعتبارها طريقة للتوصيل ، أو آلة للتفهيم ، أو قناةً للاتصال ، أو سبيلاً للتأثير فهي بهذا المفهوم وسيلة من الوسائل المثمرة، وآلة للتأثير ظاهرة ، ينبغي أن يستغلها الدعاة ، للتوجيه والإرشاد في الحياة .

---

١) أصول الدعوة ، د/ عبد الكريم زيدان ص ٤٤٧، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ١٩٩٨م.

٢) الدعوة إلى الله ،د/ أبو المجد السيد نوفل ص ١٨٩ بدون .

٣) ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، د/ سيد محمد الشنقيطي ص ٢٩ بدون .

٤) المدخل إلى علم الدعوة ، محمد أبو الفتح البيانو ني ص ٤٨، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥مـ .

رابعاً: الدعوة

الدعوة و الدُّعاءُ :يعنيان :الطلب و الرَّغْبَةُ إلى الله تعالى ، من دَعا دُعاءً ودَعْوَى ، ودَعَوْتُه زَيْداً و بزَيْدٍ : سَمَّيْتُه به ، وادَّعَى كذا : زَعَمَ أَنَّهُ له حَقاً أو باطِلاً ،والادِعاءُ في النَّسَبِ . والدَّعِيُّ : المتبنى والمُتَّهَمُ في نَسَبِهِ . وادَّعاهُ : صَيَّرَهُ يُدْعَى إلى غيرِ أبيهِ (١) .

ويمكننا أن نلخّص المعاني التي وردت بكتب المعاجم حول مادة دعي إلى الآتى :

من معانيها : (النداء والتسمية ، الطلب ، القول ، الابتهال والسؤال ، الأذان والإقامة ، النسب ، المحاولة القولية والفعلية لإمالة الغير نحو مذهب أو نحلة أو كلام ....) (٢).

ومع كثرة معانى كلمة الدعوة في اللغة ، فهي لا تخرج عن معنى : نداء الناس وحثهم على الاستجابة لشيء سواء أكان ذلك الشيء حقاً أم باطلاً ، وإذا أطلقت انصرفت لأحد أمرين

الأول : عملية النداء والطلب والذي يقصد به عند أهل الفن :التبليغ والنشر

---

(١) القاموس المحيط ،محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ١٦٥٥/١.

(٢) يراجع : لسان العرب ، ابن منظور ،١٣٨٦/٢، أساس البلاغة ، الزمخشرى ، ص١٣١، طبعة دار الفكر ١٩٧٩م ، المصباح المنير ، ١/ ١٩٥ ، تاج العروس ، الزبيدى ، ١٢٦/١ ، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،الفيروز آبادي ، ٢/ ٤٠٦ ، النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ٢/ ١٢١ .

الثاني : الإسلام ذاته (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) على ما قال ربنا سبحانه (له دعوة الحق) ([1]) فأغلب أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ (أن دَعْوَةُ الْحَقِّ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه) ([2]) فإذا أطلقت الدعوة انصرفت للإيمان به سبحانه ، لأنها : (برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصرواْ الغاية مـــن محياهم ، وليستكشفواْ معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)([3])

وهي الرسالة الإلهية التي تضم بين جنباتها سبل الاستقامة ومناهج الهداية لعموم الناس في مختلف الأقطار وعلى مدار الزمان والأعصار ، وقد اصطفينا هنا قطراً من أقطار الدنيا هو مسرح أحداث تلك القصة ، في زمن من أزمنة العالم هو زمن حكم سليمان – عليه السلام– ونبوته، وما صحب ذلك من دروس تهذبت بها نفوس .

---

١) سورة الرعد من الآية رقم :١٤.

٢) مفاتيح الغيب ،أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ٢٤/١٩ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـــ

٣) مع الله – دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ص ١٣، طبعة نهضة مصر الطبعة الثامنة ٢٠٠٧م .

خامساً : سليمان عليه السلام

هو سليمان بن داود بن ايشا .....بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم نبي الله بن نبي الله ([1]) نبي ابن نبي ، من سلالة يهوذا بن يعقوب، وينتهي نسبه إلى إبراهيم– عليه السلام – ، ولقد صرّح القرآن الكريم بهذا النسب فذكره من ذرية إبراهيم ، قال سبحانه :" وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ "([2])

وقد جاء ذكره في القرآن الكريم تسع عشرة مرة بين (النبوة – الملك – العلم – الفهم – الحكم – العبادة – الأوبة – الدعوة – الابتلاء) وسأذكر هنا نذراً يسيراً من حديث القرآن الكريم عن نبوته وملكه ودعوته، وهو ما يتعلق به محور الدراسة وذلك على النحو التالي :

---

١) البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، ١٩/٢ ، مكتبة المعارف – بيروت .

٢) سورة الأنعام ، الآيات من ٨٣–٨٦.

نبوته – صلى الله عليه وسلم –

ذُكر سليمان – عليه السلام – بين الأنبياء والرسل في أكثر من آية ، فلقد عدّد الله – تعالي – لخاتم رسله –صلى الله عليه وسلم – من أُوحى إليهم من إخوانه ، وذكر فيهم سليمان عليه السلام فقال سبحانه: " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" ([1]) .

وذكره في جملة الأنبياء والمرسلين المرفوعة درجاتهم على العالمين فقال : " وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيم عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ "([2]).

وذكر بنوته لداود – عليه السلام – مادحاً هذه الهبة مثنٍ عليها بالخير، فقال : " ووَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"([3]) ، وخصّه بالذكر

---

[1]) سورة النساء ، الآية رقم ١٦٣ .

[2]) سورة الأنعام الآيات من ٨٣-٨٦.

[3]) سورة ص الآية رقم ٣٠.

هنا دون سائر ولده لما أعطاه من الفهم والعلم هبةً وميراثاً ، قال سبحانه " وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ"([1])

ولم يُذكر لسليمان كتابٌ أُوحى إليه ، غير أنه نصّ على اسم الكتاب الذى أوحـــاه لوالده داود وهو الزبور ، فقال سبحانه : "وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" ([2]) لكنه صاحب رسالة ودعوة- كما سيأتي بيانه- ، لهذا اعتُبر سليمان عليه السلام من نسل الأنبياء المهديين ،والموحى إليهم من رب العالمين.

مُلكُ سليمان

دعا سليمان – عليه السلام – ربه أن يمنحه ملكاً لا يمنحه أحداً من بعده ، فأُجيبت دعوته وسُخّرت له الممالك ، كما جاء في قوله سبحانه "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ

---

[1]) سورة النمل الآية رقم ١٦.

[2]) سورة النساء من الآية رقم ١٦٣ ، سورة الإسراء من الآية رقم ٥٥ .

مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ" ([1])

لقد أعطى الله– تعالى – سليمان النبوة والملك معاً وراثة عن أبيه داود ، ولم يكن مُلكُ داودَ الأب مُلكاً عادياً ،بل كان مُلكاً مشدوداً مؤيداً بالخوارق المادية والمعنوية، قال الله تعالى " اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ"([2]).

وهكذا تربّى سليمان – عليه السلام – على مائدة النبوة والملك ، وورث من أبيه الحكمة والعلم ، وأُعطى من تمام الملك وكمال الرفعة ما يحتاج إليه من جند وحرس ،بل من عتاد وعَدد ،وحُشروا له حشراً بما لم يكن لغيره ، حتى نسب القرآن الكريم الجند والأتباع إليه فقال سبحانه: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ "([3])

ومما جاء في سيرة خير الخلق – صلى الله عليه وسلم – مما يؤكد هذا ، ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ

---

[1])سورة ص الآيات من ٣٤–٤٠.

[2]) سورة سبأ الآيات من ١٧–٢٠.

[3]) سورة النمل الآية رقم ١٧.

عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ اغفر لي وهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي "([1]) .

وفيه دلالة على تمكّن سليمان عليه السلام – بإذن ربه – من السيطرة على الجن واستجابتهم له ، وفيه أيضاً إظهار محبة الأنبياء لبعضهم وعدم نسيان الفضل بينهم .

وهكذا نرى أن الله –تعالى– قد ذكر مُلك سليمان وما حُشر له من الجنود والأتباع مما لم يتوفر لبشرٍ سواه، وحشد من القصص والأدلة الدامغة ما يؤكد ذلك ، مما يجعلنا موقنين بملك سليمان في العالمين .

سادساً: الهُدهُد

الهُدهُد:بضم الهاءين وإسكان الدال المهملة بينهما(طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة ، ويُجمع على هداهد ، وهو طير منتن الريح طبعاً لأنه يبني مسكنه في الزبل ، وهذا عام في جميع جنسه ، ويُذكر عنه أنه يرى الماء

---

١) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله ، كتاب الصلاة ، بَاب الْأَسِيرِ أَوْ الْغَرِيمِ يُرْبَطُ فِي الْمَسْجِدِ٢/٢٥٩ (٤٤١) ومسلم في صحيحه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة ١/٣٨٤ (٥٤١)

في باطن الأرض ، كما يراه الإنسان في باطن الزجاجة ، وزعموا أنه كان دليل سليمان على الماء ، ولهذا السبب تفقده لما فقده) ([1])

وقد يُتوهم لأول وهلة أن لا حاجة في البحث لذكر صفة الهدهد ، لكن إيراد صفته هنا من أعمدة البحث الرئيسة ، ألا ترى عظيم الدور الذى أداه حتى أخضع أمة لمولاه ؟، ومما يفيده النص على صفته هنا :

١- أنه مع صفته الوضيعة ، وحجمه الصغير لم يغب عن نظر الحاكم حتى تفقده وشعر بغيابه

٢- أنه مع ما ذُكر عنه من صفته – مما سترى – قام بالدور الذى عجز عنه بعض الأبطال من العقلاء

لهذا ولغيره كان لذكر صفته هنا فوائد دعوية واضحة ، ومما ذكر العلماء فيه : أنه مُنتن الريحِ والبدن من جوهره وذاته ، فربَّ شيءٍ يكونُ مُنتِناً من نفسه من غيرِ عرَض يعرِضُ له كالتيوس والحيّاتِ وغير ذلك من

[1])حياة الحيوان الكبرى ،كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري ٥١٣/٢ -٥١٤ ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ٨٨/٢ طبعة: دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ .

أجناس الحيوان .([1])عَظيم الرأس صغير البدن طويلَ المنقار قصير الجناح ، أسود ،ساقط النّفس ،منتن الرّيح ([2]) .

معرفة الهدهد بمواضع المياه

ومع ما ذُكر من صفة الهدهد ونتنه الحسي ، إلا أن الله – تعالى – قد ميزه بمزايا خاصة ، منها: أنه يستطيع التعرف على أماكن وجود المياه في أغوار الأرض ،ومعظم المفسرين على أنّه"هو الذي كان يدلُّ سليمان – عليه السلام – على مواضع المياه في قعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها " .([3])

ولهذا يرجح بعضهم أن الهدهد المذكور في سورة النمل "هدهد خاص، معين في نوبته في هذا العرض. وليس هدهداً ما من تلك الألوف أو الملايين التي تحويها الأرض من أمة الهداهد".([4])

ودليل ذلك عندهم أنّ اللّه – تعالى – (لم يقل : وتَفَقّدَ الطَّير فقال ما لي لا أرى هدهداً من عُرْض الهداهد ، فلم يوقع قولَه على الهداهد جُملة ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ولم يذهب إلى الجنس عامَّة ولكِنَّهُ قالَ :

---

[1]) الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٥١٠/٣ تحقيق عبد السلام محمد هارون طبعة دار الجيل لبنان/ بيروت سنة ١٩٩٦م .

[2])نفس المرجع ، ٣١٨/٢ .

[3]) نفس المرجع ٥١٢/٣

[4]) في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، ٢٦٣٨/٥ طبعة دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

وَتَفَقّدَ الطّيرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ فأدخَلَ في الاسم الألفَ واللام فجعله معرفة ،فدلَّ بذلك القصد على أنَّه ذلك الهدهدُ بعينه) (١) .

وذكر الهدهد هنا في قصة سليمان – عليه السلام – تأييد لملكه ، وتأكيد على سطوته ودعوته حيث تعاون الطير معه في سبيل مضيه في طريق الدعوة ، كما أن فيه دلالة قوية على أن الداعية المخلص تساق له المؤيدات سوقاً وتحشد لأجل دعوته ومهمته الحشود ، وسنرى برهان ذلك في ثنايا القصة المقصودة ، والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

---

١) نفس المرجع ٤/٧٧

المبحث الأول : القصة والدعوة

ويحتوى على عدة مطالب

المطلب الأول : القصة القرآنية وأثرها في الدعوة.

المطلب الثاني : أهمية قصة سليمان والهدهد.

المطلب الثالث : سليمان الملك الداعية.

المطلب الأول : القصة القرآنية وأثرها في الدعوة

القصة بين التأثير والتأثر:

القصة في مجملها مجموعة من الأحداث والوقائع تُروى بأسلوب شيق جذاب يهدف إلى جذب النفوس إما للمعرفة المطلقة وإما للدلالة على الهدى والابتعاد عن الردى ، وهى من أهم المؤثرات النفسية في إلهاب العاطفة وتحريك المشاعر بما تحويه من حرارة وما يتخللها من حيوية وحركة تدفع المستمع العاقل إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته

وكم نرى فيما نسمع من قصص – وما يلازمها من تمهيد وتعقيب،وشرح وتفصيل ،وإيجاز وإطناب ، وما يتضمنه ذلك كله من معانى الحب والبغض ، والخير والشر ، والبناء والهدم ،والحزن والفرح ، والبغي والعدل ، والقسوة والرحمة ، والاستعلاء والتواضع – العظات والعبر لمن أراد العظة من بني البشر

تمر أحداث تلك القصص وقد تنسى مع الزمن لكن معانٍ عظيمةً تركتها، وآثاراً باقيةً خلدتها فترسبت في نفس المستمع واستفاد منها طول الزمن ، ووظف نتائجها في المحن ، ومما يميز القصة (أنها تصور نواحي الحياة فتعرض لك الأشخاص ، وحركاتهم وأخلاقهم ، وأفكارهم واتجاهات نفوسهم ، وبيئتهم الطبيعية والزمنية ، تعرضهم عليك بعرض أعمالهم

وتصرفاتهم ونقاشهم ، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال ، ومضيت مع الحوار والنقاش عرفت ما يستكن في النفوس من الطباع ، وما يهجس فيها من الخواطر ، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم ، وضقت ذرعاً بذوي النفوس المظلمة والوسائل الملتوية ، حتى لكأنك تراهم رأى العين ، وتسمع منهم سمع الأذن وتعاشرهم وتحيا بينهم .

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها ، فغريزة حب الاستطلاع تُعلِّق عينَ السامع وأذنَه وانتباهَه بشفتي القصصي البارع ، استشرافاً لمعرفة الباقي من بقية الأنباء .

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب ، فهي بالميزة الأولى – تصوير نواحي الحياة – تعرض هذه التعاليم في صورة عملية حية ، تحرك الوجدان وترفع بعض المشاعر .

وهى بالميزة الثانية – ميزة التقبل والتنبه – تجعل النفوس أوعية مفتوحة يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار) ([1])

[1]) تذكرة الدعاة ، البهي الخولى ص ٤٤، ٤٥ طبعة مكتبة دار التراث ، الطبعة الثامنة ١٩٨٧م.

ومن أبعادها النفسية والتربوية عموماً أنها تأخذ قارئَها من عالمه الحقيقي إلى عالم القصة – ولو كانت مفتعلة غير حقيقية – حتى يجمع لها لُبَّه وعقله فيعيش أحداثها وينتظر نتائجها وكأنها الساحرة التي أخذته ، والقوة التي جذبته ، وفيها من التأثير ما يتحير معه العقل فلا ندرى (أهو انبعاث الخيال يتابع مشاهد القصة ويتعقبها من موقف إلى موقف ،أهو المشاركة الوجدانية لأشخاص القصة وما تثيره في النفس من مشاعر تتفجر وتفيض ؟

أهو انفعال النفس بالمواقف حين يتخيل الإنسان نفسه في داخل الحوادث ، ومع ذلك فهو ناج منها متفرج من بعيد ؟

أياً كان الأمر فسحر القصة قديم قدم البشرية ، وسيظل معها حياتها كلها على الأرض لا يزول وأياً كان الأمر فلا شك أن قارئ القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفاً سلبياً من شخوصها وحوادثها . فهو – على وعى منه أو غير وعى – يدس نفسه على مسرح الحوادث ويتخيل أنه كان في هذا الموقف أو ذاك ، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق ، أو يستنكر، أو يملكه الإعجاب) ([1]).

لهذا ولغيره كانت القصة من أهم الوسائل التشويقية سماعاً التأثيرية إقناعاً نفوس الصغار والكبار إليها مشنفة والأحاسيس لنتائجها مستعدة مرهفة .

---

[1]) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ص١٩٢-١٩٣ طبعة دار الشروق رقم ١٦ سنة ٢٠٠٤ م .

أهداف القصص في القرآن الكريم

وقد استخدم القرآن الكريم القصة في العظة واهتم بها ، حيث خاطب من خلالها النفوس، ولقنها ما شاء من دروس ، ولم يعرضها للتجريح ، بل وعظها بالتلويح ،واتخذها (مرآة تعكس لأهل كل عصر ما وقع في العصور الخالية من صراع بين الخير والشر ، فيرى كل إنسان فيها ذاته من خلال تلك الأنباء التي وردت...ومن خلال تلك الرؤية يتمكن الإنسان من أن يحكم لنفسه أو على نفسه بأنه من أهل الخير أو من أهل الشر وفق المعايير التي يحملها القصص في طياته ، وعلى ضوء القيم التي يدعو إليها بطريق مباشر تارة ، وبطريق غير مباشر تارة أخرى) ([1]).

وكثيراً ما ساق القرآن الكريم العظة للناس في قصة مؤثرة أو خبر غابر أو حاضر ،حتى ساق الأحداث العظام التي تقع للناس يوم القيامة مسلسلة مصورة وكأنك تقرأ في قصة مؤثرة تخلع أحداثها قلبك منتظراً الخواتيم والنتائج وأنت هادئ مرة وهائج أخرى ، وهو يرنو من وراء هذا كله إعمال الأفكار ، والتأثر والاعتبار ، بمضمون هاتيك الأخبار ، بل لقد أمر نبيه أن يقصص القصص على أصحابه وصولاً لهذا فقال سبحانه " فَاقْصُصِ

[1]) قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل ، د/ محمد بكر إسماعيل ص ٣طبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" ([1]) في إشارة صريحة إلى المرتقب الطبيعي من وراء قص القصص .

وبعد حديث طويل عن قصة يعقوب وبنيه – وما تخلّلها من أحداث وصراعات عبّر الله عن مجملها بأنها " أحسن القصص " – ذكر أن المرجو من السامع لهاتيك القصص اتخاذ العظات والعبر فقال سبحانه "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" ([2])

والمتأمل في قصص القرآن الكريم يجده صابّاً اهتماماته على العظات والعبر التي سيقت لأجلها القصة ، فضلاً عن متابعة أحداثها المسلسلة ، فالغرض من ذكر قصص المرسلين تثبيت فؤاد خاتم المرسلين ، وتذكير جماعة المؤمنين ،قال سبحانه " وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ([3])

والغرض من ذكر قصص بعض القرى الظالمة والأخرى المؤمنة: الاتعاظ بأخبارها واليقين على أنها لم تُظلم وإنما ظلمت نفسها ، ووجوب الحرص على الابتعاد عن أسباب الهلكة " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا

---

[1]) سورة الأعراف من الآية ١٧٦.

[2]) سورة يوسف الآية ١١١.

[3]) سورة هود الآية ١٢٠ .

قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ([1])

وأكـــد على ذات المعنى بعد كلامه عن إهلاك جملة من القرى الظالمة فقال : " وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ([2]) وخاطب أولى النهى بوجوب اتخاذ العبرة من هاتيك القصص بعد كلامه عن إهلاك الطواغيت والظلمة فقال بعد حديثه عن فرعون " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى" (٣) .

ويمكننا إجمال الأهداف الرئيسة من قصص القرآن الكريم فيما يلي([4]) :

---

[1]) سورة هود الآيات ١٠٠-١٠٣ .

[2]) سورة ق الآيتان ٣٦-٣٧.

[3]) سورة النازعات الآية ٢٦ .

[4]) مستفاد من : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع د/ عبد الرحمن النحلاوى ١٨٩-١٩٤ طبعة دار الفكر – دمشق – الطبعة الثالثة ٢٠٠٤ م ، أصول التربية الإسلامية د/ سعيد إسماعيل القاضي ص١٩٠-١٩٣ طبعة دار عالم الكتب ، معالم تربوية "

١-إيقاظُ عقل القارئ وجذبُ انتباهه وجعلُه دائمَ التأملِ للمعاني والتتبعِ للمواقف والتأثر بالشخصيات والموضوعات حتى آخر كلمة ، ويظهر ذلك جلياً من بدء جُل القصص القرآني بلافت أو مشوِّق كبدئه قصة يوسف بوصفها أحسن القصص ([١]) ، أو اصطفاء اسم لها كأصحاب القرية ([٢]) ، أصحاب الجنة ([٣]) ، صاحبي الجنتين ([٤]) ، أصحاب الكهف والرقيم ([٥]) ،القرية الآمنة ([٦]) ، وادي النمل ([٧]) ، أصحاب الأيكة ([٨]) ، المؤتفكات بالخاطئة ([٩]) ، إلى غير ذلك من المشوقات .

٢-إظهار حقيقة النفوس البشرية بواقعية كاملة: وذلك بالحديث عن جوانب الضعف الكامنة فيها سعياً لإكمالها كحديثه

التربية بالقصة " مصطفى الطحان ص١٣-١٥ طبعة دار الوفاء بالمنصورة – الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .

[١]) انظر سورة يوسف الآية ٣ .

[٢]) انظر سورة يس الآية ١٣ .

[٣]) انظر سورة القلم الآية ١٧ .

[٤]) انظر سورة الكهف الآية ٣٢.

[٥]) انظر سورة الكهف الآية رقم ٩

[٦]) انظر سورة النحل الآية ١١٢.

[٧]) انظر سورة النمل الآية ١٨ .

[٨]) انظر سورة الشعراء ١٧٦.

[٩]) انظر سورة الحاقة الآية ٩.

عن معصية آدم – عليه السلام – ومراودة امرأة العزيز ليوسف ، ورجاء الولد عند كلٍ من زكريا وإبراهيم – عليهما السلام – وابتغاء موسى للخير بعد العمل الشاق ، وابتئاس نوح من إيمان قومه ، ورجائه نجاة ولده الكافر ،وحزن محمد على كفر بعض قومه .

٣–التأكيد على معانى الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في بعض الشخصيات المميزة عبر التاريخ ، والإلحاح على ضرورة التأسي بسيرها كالتأسي بإبراهيم – عليه السلام في تنفيذ أمر الله ولو بذبح الولد ، والتأسي بأخلاق محمد – صلى الله عليه وسلم وصبره على إيذاء قومه ، والتأسي بمعنى الأخوة والإيثار بين المهاجرين والأنصار، والتأسي بمعنى مجابهة الظالم وعدم الخضوع لباطله كما في قصة أصحاب الأخدود ،..... .

٤–تربية العواطف وتوجيه الانفعالات نحو الحق والعدل كتوجيه الخوف والترقب عند موسى مرات إلى خوف الوقوع في الظلم ،وترقّب هداية القوم ، وتوجيه القلق وتوقع الهلكة عند أصحاب موسى إلى وجوب الثقة فيمن بيده كل شيء ، وتوجيه الغرور بما في اليد الكائن عند قارون إلى وجوب الاعتبار بفاء المالكين ممن سبق ، وتوجيه التسلط والكبر والصلف المركوز في شخصية فرعون إلى ضرورة الانكسار بين يدي الجبار، وإنكار الذلة

والصغار والتلون في شخصية بني إسرائيل وتوجيهه إلى السعي الحثيث نحو التخلّص من الموبقات وترك المهلكات وطلب النجاة فقط من الله .

٥-الوصول إلى الإقناع الفكري بموضوع القصة : فصدقُ إيمان يوسف – عليه السلام – هو الذى أنجاه من الجُب ، ومعرفتُه لتعبير الرؤى أوصلته للذكر عند الملك ، ورجاء إبراهيم في ربه مع تصديق موعوده هو الذى نجاه من النار ، وتقتيل بني إسرائيل للأنبياء مع تكذيبهم لآيات الله هو الذى أوقعهم في المهالك ، وكفر امرأة لوط برسالته هو الذى استثناها من الناجين ...إلى غير ذلك من المعاني العظيمة مما يضيق المقام عن وصفه وذكره .

هذه بعض الأهداف العامة حول ورود القصص القرآني مما يحتم على الدعاة العاقلين في كل عصر ضرورة الاستفادة منها وهو ما نورد الحديث عنه في الآتى :

الداعية وأثر القصص :

مما يميز الداعية الحق اتخاذه أسلوب الحكمة في دعوته ، وانتقاء أمثل الطرق الدعوية في الوصول إلى المراد ، ومن باب الحكمة استغلاله القصص القرآني في إقناع المدعوين سيما وقد " اشتملت تلك القصص على طرق

شتى في التربية والتهذيب ، تارة عن طريق الحوار ، وأحياناً عن طريق الحكمة والاعتبار ، وطوراً عن طريق التخويف والإنذار " ([1])

باشر الله – تعالى – ذلك وصولاً إلى تثبيت الفؤاد فقال : " وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ "([2])

فانظر قوله :" نقص ....ما نثبت " وهو تأكيد صريح على أهمية الأقاصيص في تثبيت الفؤاد ، وهو من أعظم مهام الداعية فلا غرو أن يسلك ما اعتبره القرآن طريقاً ومعْبَراً لذلك .

وبعد الحديث عن بني إسرائيل واتخاذهم العجل انتهى إلى تقرير حقيقة التوحيد الخالص فقال سبحانه " إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا"([3]) فقوله:" وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا " يحمل إعذاراً وإنكاراً ، أما الإعذار فبعد كمال الأخبار ،

---

[1]) القصة في القرآن الكريم ، أ.د/ محمد سيد طنطاوي ج١ ص ٤ سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة٢٠٠٧م .

[2]) سورة هود الآية رقم ١٢٠ .

[3]) سورة طه الآيات٩٨ – ١٠٠.

وأما الإنكار فعند عدم الاعتبار، كما أنه ملزم بعاقبة الاستماع ،عند عدم الانتفاع .

وكذا قصّ أنباء القرى بنفسه استكمالاً للعظة فقال "تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ([1]) فلم يكتف بما سرد من قبل عن أخبارها ،حتى شفعه بملخصٍ لعملها وجزائها .

وقصّ أنباء فتية تمسكواْ بإيمانهم ، فصاروا مضرباً للمستمسكين بالحبل المتين قال سبحانه :" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" ([2]).

وهكذا تتوالى النداءات والأقصوصات ليستفيد منها الدعاة في كل الأوقات ، ومن ثم " يجب أن يتحول ذكر القصص للمسلمين ، من قِبَل الكاتبين والمتحدثين والواعظين ، من كونه هدفاً أساسياً إلى جعله وسيلة ضرورية لتحقيق هدف إسلامي أصيل ، "([3])

وللدعاة في تنويع القرآن الكريم دعوته للإيمان بين الموعظة المجردة حيناً ، والمشفوعة بمثل حي وأنموذج واقعي حيناً آخر الأسوة والقدوة فهناك فرق

---

[1]) سورة الأعراف الآية ١٠١.

[2]) سورة الكهف الآية ١٣.

[3]) مع قصص السابقين في القرآن د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٢٥-٢٦ طبعة دار القلم – دمشق – الطبعة الخامسة ٢٠٠٧.

عظيم (بين رجل يعرض أفكاره ودعوته على الناس من خلال القصص ، وبين رجل آخر يعرض الأفكار نظريةً مجردةً مثاليةً جافةً ، إن المستمعين يتفاعلون مع الأول منهما ، ويتأثرون به ، ويؤيدونه وينقادون إليه) ([1])

لذا وجب علينا معشر الدعاة أن ننفذ أمر الله تعالى بقصّ القصص والاستفادة منها دعوياً في الآتى([2]):

١- التعرف على الصراعات الدائرة بين أهل الحق وأهل الباطل على مدار التاريخ ، والاعتبار بما يصيب المؤمنين فيها من أذى في سبيل الله ، وما قد يلحق أهل الباطل من علو الزبد الذى سرعان ما يذهب .

٢-الاعتبار بسنن الله – تعالى – الماضية في خلقه مع الأمم والأفراد والجماعات ، وأن ما جرى على الماضين سيجرى نظيره على اللاحقين والتفكر في تلك السنن ، أو في مصير من جرت عليهم تلك السنن كما قال سبحانه " سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا " (٣) وقال جل جلاله " سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا" (٤)

---

[1]) المرجع السابق ص ٢٦.

[2]) مستفاد من كتاب المستفاد من قصص القرآن الكريم د/ عبد الكريم زيدان ج١ ص ٦-٩ طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

[3]) سورة الأحزاب الآية ٦٢.

[4]) سورة الفتح الآية ٢٣ .

٣- تعلم الداعية من طرق الدفع ومناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله – تعالى – والتأسي بهم فيها ، والتعرف على حياتهم وجهادهم ، والتسلي بصور مكابداتهم ومعاناتهم وهم الأكرمون عند الله – تعالى – كما قال الله – تعالى – لنبيه " أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ"([1])

والاقتداء هنا ليس فقط في أصول الدين وقواعده ، بل يكون أيضاً في الأساليب والطرائق كما قال صاحب المنار " وموافقة رسول لمن قبله في أصول الدين وبعض فروعه لا يسمى اقتداءً ولا تأسياً ، وإنما يكون التأسي به في طريقته التي سلكها في الدعوة إلى الدين وإقامته ، ومن الشواهد على هذا قوله تعالى : " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ"([2]) فإن الله – تعالى – أرشد عباده المؤمنين إلى التأسي بإبراهيم ومن آمن معه وجعلهم قدوة لهم

[1]) سورة الأنعام الآيتان ٨٩–٩٠.

[2]) سورة الممتحنة من الآية ٤ .

في سيرتهم العملية التي كانت من هدى الله – تعالى – لهم ، وهى البراء من معبودات قومهم ومنهم ماداموا عابدين لها "([1]).

٤- في قصص القرآن الكريم مادة علمية لها قدرها يستخرج منها الداعية النماذج العملية لدعوته فيدعوا عن طريقها للالتزام بالمحامد ، والابتعاد عن الرذائل .

٥- يتعلم الداعية من هذه القصص طرق المعالجة لأحوال الناس وإقناعهم والصبر على لأوائهم.

[1]) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)محمد رشيد رضا ج٧ ص٤٩٧،طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.

المطلب الثاني : أهمية قصة سليمان والهدهد

ولدراسة هذه القصة أهمية كبيرة في الدعوة أذكر بعضها فيما يلي :

أولاً :جمع سليمان عليه السلام بين النبوة والملك ، ومع هذا لم يشغله ملكه عن نبوته ، ولا نبوته عن ملكه ، وفى هذا قطع لألسن المتعللين والمشككين والمتعذرين ومن فوائد هذا الجمع دعوياً ما يلي :

١- طريقة أخـــرى من طرق معالجة الدعوة ، حين تؤيَّد الدعوات بالسلطات ، فما أجمل السلطة إذا أيدت الدعوة ، وما أكمل الدعوة إذا وُقفت لأجل صلاحها صلاحيات السلطة ، فمن لم يرضخ للحجة والبرهان رضخ للقوة والسلطان .

٢- تأييد الدعوة بمؤيد قوى حين تستدعى الحاجة ذلك ، فالمدعو هنا قومٌ قتّلوا الأنبياء ، وسعوا في تشويه صورتهم وسيرتهم ، فلما عاندوا واستكبروا زاوج الله – تعالى – لهم بين النبوة والملك ، وفى هذا إشارة واضحة إلى وجوب الاستعداد القوى للمدعو العنيد .

٣- في هذا الجمع بين النبوة والملك نموذج فريد من نماذج تسخير القوة المتاحة لتكون في خدمة الدعوة وليس العكس ، فلم يغتر بملكه ، ولم يفتنه سلطانه ، ولم يسيطر عليه نفوذه ،فاتخذ من الخيل وسيلة للجهاد ، ولم يجعل قواه طريقاً للممنوع ، بل استعان بها في تحقيق المشروع .

٤- إشارة قوية لملوك الدنيا ورؤساء العالم إلى أن الإنسان مهما بلغت منزلته وعلت درجته ، فلن يصل إلى درجة أعلى من درجة النبوة ، ومهما أوتى من ملك وجاه وسلطان ونفوذ فلن يصل لملك سليمان وداود – عليهما السلام – ، ومع هذا لم يخلدا في الدنيا ، ولم يمنعهما ما أوتياه من الموت .

٥- توجيه إلى أن الدين لا يعارض الدنيا ، وأن العبادة لا تمنع التملك ،ولا التملك يمنع العبادة ، فكل منهما معين للآخر لا هادماً له ،وفى هذا توجيه إلى الزهاد المزيفين ، والناسكة المبطلين أن أعيدوا النظر في أمركم فالزهد الحقيقي زهد من وجد لا زهد من فقد .

٦- لفت نظر أصحاب الجاه والسلطان إلى توظيف جاههم في العمارة ونشر الحضارة ، واعتبار الدين راعياً وحامياً لا هادماً فعلى من أراد تحصين ملكه وقوته أن يحصنه بالدين ، وقد قال النبي الأمين – صلى الله عليه وسلم – لمن راسلهم من ملوك وأمراء : " " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ " وَ {يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا

وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ([1])

يعنى تسلم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، أو تسلم لك دنياك وأخراك ، أو يسلم لك ملكك وتسلم لك نفسك فيجوز هنا "حمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة فلو أسلم لسلم من كل ما كان يخافه" ([2]) .

٧- تصحيح معتقدات بعض الناس أن المستضعفين فقط هم من ساروا في طريق الدين فإليكم هذه النماذج الفريدة (يوسف ، وداود ، وسليمان) ممن ملكوا الدنيا ، وتولواْ الوزارات والإدارات ومع هذا تعرضواْ لما ترون .

٨- تمكن الداعية الحق من تحقيق التوازن التام والانسجام الكامل بين مشاغله – ولو اتسعت – ، وإداراته – ولو ترامت – دون أن يشغله ذلك عن المضي قدماً في دعوته ، لأنه رتّب الأولويات وأدرك المآلات .

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد ، باب دعاء النبي إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ٣/ ١٠٧٦ (٢٧٨٢) ، وفى باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ٩/١ (٧) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي إلى هرقل ١٣٩٣/٣ (١٧٧٣) والأريسيون : الفلاحون ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ٣٨/١.

[2]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي٢٨٥/١ بتصرف ، طبعة دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ .

ثانياً : التواصل الموجود في القصة بين أجناس المخلوقات المختلفة (إنس – جن – طير) دليل على اتحاد منظومة الخلق نحو طريق الحق ، وفيه إشارة قوية إلى التكامل والتعاون بين سائر المخلوقات لاستكمال مسيرة الدعوة حتى تسلم الدنيا والآخرة للجميع .

ثالثاً :تتجلى في القصة دعوة الملأ فلا زالت بلقيس ملكة على عرشها ، ووراءها من الجند والأتباع العدد الغفير وتحت إمرتها الجيوش الجرارة ، وقد تلبست بالكفر الصراح ، ومع هذا استطاع سليمان – عليه السلام– بفطنة الداعية وحكمة النبوة أن يغير ذلك المنكر الكبير ، حتى ساقها إلى الإسلام سوقاً .

رابعاً :في القصة إشارة إلى أن النتائج العظيمة ، والأهداف النبيلة قد يتسبب في تحقيقها مخلوق ضعيف فقد تسبب هدهد في إيمان أمة فانظر واعتبر .

خامساً :في القصة تأكيد على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب ولا يستطيعون التنبؤ بما ليس في المقدور

سادساً : في القصة دليل على صدق نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –وكمال رسالته ، وأنه ما ينطق عن هواه ، حيث لم يشهد أحداثها ولم ير أفرادها ومع هذا ساق إلينا الأحداث وكأن أفرادها بيننا

الآن يعيشون ، وكم أكد القرآن الكريم على هذا المعنى كقوله سبحانه عقب قصة نوح – عليه السلام – "تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ"(١) ، وقوله عقب قصة يوسف – عليه السلام – " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ" (٢) ، وقوله عقب قصة مريم "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ"(٣) ، وقوله عقب قصة موسى – عليه السلام – "وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَــةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " (٤) .

سابعاً : في القصة تصريح أن سليمان – عليه السلام– أُوتى مالم يؤتَه ملِك قبله ، ولن يؤته ملك بعده ، ومع هذا لم تؤمن له بلقيس

---

١)سورة هود الآية رقم ٤٩ ..

٢) سورة يوسف الآية ١٠٢ .

٣)سورة آل عمران الآية ٤٤ .

٤) سورة القصص الآيات ٤٤– ٤٦ .

ابتداءً مع ظهور ما أُعطى ، فليس محمد – صلى الله عليه وسلم – في هذا بدعاً ممن سبقه

ثامناً : يظهر جليّاً في القصة حسن إدارة سليمان – عليه السلام– للعجماوات من المخلوقات ، فكيف بمن تولى أمر من يعقل ويدرك ثم هو لا يحسن يدعو ؟

تاسعاً : في القصة دعوة النساء ومواجهة الداعية الحكيم لهذا الصنف من المدعوين ، والأخذ بأيديهم نحو الحق .

عاشراً : في القصة تأكيد على أن الدعاة الحقيقيين لا يعرفون للمستحيل طريقاً ، فهاهو سليمان – عليه السلام– يواجه قوماً قد تلبسواْ بأشنع المنكرات وألغوا عقولهم بالشرك ومع هذا عرف سليمان – عليه السلام – الطريق إلى قلوبهم فجمعها حيث أراد .

.

المطلب الثالث : سليمان – عليه السلام - الملك الداعي

ذكر الله تعالى ملك سليمان – عليه السلام – ، وأنه أوتى من كل شيء يحتاج إليه الملك من : العدد والآلات ، والجنود والجيوش ، والجماعات ، وسخر الله له الجن والإنس والطير كما قال سبحانه: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ " ([1]) وهذا أنموذج واضح من مملكة سليمان العريضة :

وسائل الموصِّلات بالمملكة :

يحتاج الملك الواسع الكبير – لاشك – إلى واسطة اتصال سريعة، كي يتمكن صاحب ذلك الملك من تفقد كل مناطق مملكته بسرعة في الأوقات الضرورية، وقد منح الله – تعالى – ذلك لسليمان – عليه السلام– بما لم يعطه غيره حيث سخر له الريح تحمله حيث شاء قال سبحانه :"فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ " (٢) ، (وَالتَّسْخِيرُ : الْإِلْجَاءُ إِلَى عَمَلٍ بِدُونِ اخْتِيَارٍ، وَمعناه صرف الرِّيحِ إِلَى الْجِهَاتِ الَّتِي يُرِيدُ سُلَيْمَانُ تَوْجِيهَ سُفُنِهِ إِلَيْهَا لِتَكُونَ مُعِينَةً سُفُنَهُ عَلَى سُرْعَةِ سَيْرِهَا،..وَمعنى قوله : (لَهُ) أَيْ لِأَجْلِهِ،...حَسَبَ خُطَّةِ أَسْفَارِ سَفَائِنِهِ، ...ويؤكده قوله :".حيث أصاب "...وأَصابَ مَعْنَاهُ قَصَدَ،

---

[1]) سورة النمل آية ١٧.

[2]) سورة ص الآية ٣٦.

وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الصَّوْبِ، أَيِ الْجِهَةِ، أَيْ تَجْرِي إِلَى حَيْثُ أَيِّ جِهَةٍ قَصَدَ السَّيْرَ إِلَيْهَا) .([1]) دون تحديد جهة للريح بل إلى أي بلد (أَيْ: حَيْثُ أَرَادَ مِنَ الْبِلَادِ.)([2]) .

ولكن كيف سخر الله – تعالى – الريح لسليمان وأضافها له ،وسائر الناس ينتفع بها ؟الراجح : أن(الْمُسَخَّرُ لِسُلَيْمَانَ كَانَتْ رِيحًا مَخْصُوصَةً لَا هَذِهِ الرِّيَاحُ) ([3])

فانظر كيف وفّر له ولسفنه من وسائل التسيير مالا يحتاج إلى مزيد طاقة أو وقود ، حيث لا تعطيل أو تأخير أو حتى تكلفة ،وكيف حفظه وجنده من أسباب السقوط ،وضغط الهواء ،والارتفاع والانخفاض ،وغير ذلك،فسبحان العليم القدير.

الجن في خدمة سليمان :

ومن إنعام الباري عز وجل على عبده سليمان – عليه السلام– أن سخّر له الموجودات المتمردة ووضعها تحت تصرفه لتنجز له من الأعمال ما يحتاج قال سبحانه : ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ﴾ (٤)

---

[1]) التحرير والتنوير ٢٣/٢٦٤-٢٦٥.

[2])تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير٧/ ٧٣ ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩.

[3])مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ٢٥/ ١٩٧. طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

[4])سورة ص الآية ٣٧.

أي أن المجموعة منها المنشغل في البر ببناء ما يحتاج إليه سليمان من أبنية، ومنها المنشغل بالغوص في البحر.

وإذا صيّرنا لفظة الشياطين إلى عموم ورودها في القرآن الكريم فيما يخص العصاة والمتمردين من الإنس والجن كقوله تعالى " وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ" (١) ظهر ملمح آخر وإعجاز أقوى ، حيث أُعطى سليمان – عليه السلام – من القوة ما جعل الجميع من رعاياه ينصاعون له حتى المتمردين منهم.

بل وصل الأمر إلى إيقاع العقاب بالمقصر في أداء مهمته ، قال سبحانه : ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(٢) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى جانب من الأعمال الإنتاجية المهمة، التي كان يقوم بها فريق الجن بأمر سليمان – عليه السلام – يقول تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ (٣)

---

١) سورة الأنعام الآية ١١٢.

٢) سورة سبأ الآية ١٢.

٣) سورة سبأ الآية ١٣ .

فكل ما أراده سليمان من معابد وتماثيل – مما هو جائز في عصره – وأواني كبيرة، وقدور واسعة ثابتة، كانت تصنعه الجن بلا تأخير .

وضع بعض متمردي الشياطين في الأغلال والأصفاد :

ومن نعم الباري –عز وجل – على سليمان – عليه السلام – سيطرته على مجموعة من القوى التخريبية من بعض شياطين الإنس والجن ممن لا فائدة فيهم ، ولا سبيل أمام سليمان سوى تكبيلهم بالسلاسل، كي يبقى المجتمع في أمان من شرورهم،كما جاء في قوله سبحانه:﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾(١) يعنى (مُوثَقُونَ فِي الْأَغْلَالِ وَالْأَكْبَالِ مِمَّنْ قَدْ تَمَرّد وَعَصَى وَامْتَنَعَ مِنَ الْعَمَلِ وَأَبَى أَوْ قَدْ أَسَاءَ فِي صنيعه واعتدى) ([٢]).

وهو كناية عن اعتقالهم ومنعهم من أداء نشاطهم التخريبي، ورفع أسباب وقوع الفساد في المجتمعات لتحقيق المهام الإصلاحية لرقى الحضارة الإنسانية.

إعطاء الصلاحيات لتوزيع المنح والهبات :

ومن نعم الله عليه إعطاؤه الصلاحيات الواسعة والكاملة في توزيع العطايا والنعم على من يريد، ومنعها عمن يريد حسب ما تقتضيه

---

[١]) سورة ص الآية رقم ٣٨.

[٢]) تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير٧/ ٧٣ ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

المصلحة، ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).أَيْ: (هَذَا الَّذِي أَعْطَيْنَاكَ مِنَ الْمُلْكِ التَّامِّ وَالسُّلْطَانِ الْكَامِلِ كَمَا سَأَلْتَنَا فَأَعْطِ مَنْ شِئْتَ وَاحْرِمْ مَنْ شِئْتَ، لَا حِسَابَ عَلَيْكَ، أَيْ: مَهْمَا فعلتَ فَهُوَ جَائِزٌ لَكَ احْكُمْ بِمَا شِئْتَ فَهُوَ صَوَابٌ) (٢)، وقوله :" بغير حساب "إما أن تكون إشارة إلى أن البارئ – عز وجل – قد أعطى لسليمان صلاحيات واسعة لن تكون مورد حساب أو مؤاخذة، وذلك لصفة العدالة التي كان يتمتع بها سليمان في مجال استخدام تلك الصلاحيات، أو أن العطاء الإلهي كان عظيماً فمهما مُنح منه سيبقى عظيماً وكثيراً.

تحقيق المرتبة المعنوية اللائقة:

لقد أعطاه الله من المراتب المعنوية والدرجات الرفيعة التي شملته،فبعد أن عددّ نعمه عليه قال : ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (٣)

وهذه الآية – في الحقيقة – تعد رداً مناسباً على أولئك الذين يدنِّسون قدسيَّة أنبياء الله العظام بادعاءات باطلة وتوهمات زائفة ،وتبرئ ساحة نبي الله من الاتهامات الباطلة والمزيفة التي منيت بها مؤلفات بعض هؤلاء المغرضين وتشيد بمرتبته عند الباري عز وجل، كما أنها تبشره بحسن العاقبة والمآل في الآخرة

---

١) سورة ص الآية ٣٧.

٢) تفسير القرآن العظيم ٧/٧٤

٣) سورة ص الآية رقم ٤٠ .

الدروس الدعوية المستفادة من إدارة مملكة سليمان :

ويمكننا الاستفادة (دعوياً) مما جاء في القرآن الكريم عن مملكة سليمان – عليه السلام – وعطاءات الله له فيها حتى تحسن إدارته لها في الآتى :

أولاً: تقديم الصلاح الأخروي على الأمل الدنيوي ، واعتبار بقاء الثاني من نواتج تحقيق الأول ، وهذا واضح غاية الوضوح في قصة مملكة سليمان من عدة وجوه منها :

١– بدء سليمان – عليه السلام– طلب الملك من ربه بطلب المغفرة أولاً "قَالَ رَبِّ اغْفِرْلِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" (١) وفيه معنى التأدب وحسن الطلب .

٢– أنه لم يستعن بالجن والشياطين – مع كامل سطوته عليهم – في تحقيق شر مثلاً ، بل استعان بهم في بناء المعابد

ثانياً : اعتبار الملك من الله – تعالى – هبة لا حقاً مكتسباً ، وليس ناتج مهارة وعمل ، فقد طلب سليمان – عليه السلام – من ربه أن يهبه الملك وهو موحٍ بوجوب الخضوع والرجوع لمن بيده ممالك السموات والأرض ، ونظيره ما جاء في دعوة إبراهيم – عليه السلام – ربه "رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ " (٢)

---

١) سورة ص الآية ٣٥

٢) سورة الشعراء الآية ٨٣.

ثالثاً :عدم الاغترار بالممالك ، والرضا بتحقيق بعضها للآخرين ، فقد نكّر سليمان – عليه السلام – الملك وهو يطلبه ولم يعرفه (وَتَنْكِيرُ مُلْكاً لِلتَّعْظِيمِ)([1]) طمعاً في الفضل والمزيد إذ لا حرج على فضل الله ، أو باعتبار أن معالم الملك غير معروفة لديه فهو لم يطلب ملكاً معيناً معروفاً بل أراد مطلق ملك ، أو لمراعاة الأدب حتى لا يغلق الباب دون غيره .

رابعاً : إرجاع الفضل ونسبته لأهله ، فبعد طلبه الملك من ربه نسب الفضل والهبة الحقيقية له ، فقال : " إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " .

خامساً : الاستعانة بأسباب ووسائل الإنتاج الحقيقية من أجل المساهمة في بناء الحضارات ، وتوفير الإمكانيات والطاقات المناسبة ، حيث أُعطى سليمان من أدوات الإنتاج ووسائل العمران الكثير .

سادساً : إطلاق يد الحاكم وعدم تكبيلها ، حتى يستشعر أن ما تحت يده – من الممالك – من ملكه الخاص يصرّفه حيث يشاء ، وأن ما يبذله من طاقة إنما يعود بالنفع له على الحقيقة ، وهو مفهوم نسبة النعم لسليمان – عليه السلام – في أكثر من موطن ، كقوله سبحانه : "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"(٢)

وقوله:" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ

---

[1]) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٦٢.

[2]) سورة الأنبياء الآية ٨١.

مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ"(١) وقوله : " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ "(٢) فتأمل – يا رعاك الله – لام الملك وهاء الضمير المنتشرة في هاتيك الآيات الكريمات وما لها من دلالة .

سابعاً : التعاون والتكامل بين أفراد الرعية في سبيل تحقيق المصالح العامة، وهو سر من أسرار حسن الإدارة .

ثامناً : توزيع الأدوار في بناء مملكة سليمان – عليه السلام –فمن الشياطين: "البنّاء " ، ومنهم " الغواص "، ومن مردة الجن من يعمل بين يديه، ومنهم من يبنى له المحاريب ، ومنهم من يصنع له القدور ، وقد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى حين قصد إلى هذا التعديد وقسّمه .

تاسعاً:تمكن الحاكم من رعيته ، وسيطرته عليهم ، حتى يُخضع لسلطانه الجميع مسالمين ومتمردين .

عاشراً: عدم انصياع الحاكم لكل رغبات الرعية مادام الحاكم عاقلاً حكيماً لا تصدر أوامره ونواهيه عن هوى ، ودليله في قصة سليمان – عليه السلام – التأكيد على أن عمل الجن ومردة الشياطين في مملكته لم يخرج عن طور إرادته ومشيئته فقال سبحانه : "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ" فهم يعملون له لا

---

(١) سورة سبأ الآيتين ١٢– ١٣.

(٢) سورة ص الآية ٣٦ .

لهم ، ويعملون ما يشاء لا ما يشاءون ، سيما إذا كان الحاكم عاقلاً والمحكوم متمرداً .

حادي عشر : تقدير الحاكم العاقل للمحسن من رعيته ، وعدم إغفال معاقبة المسيء ، وذلك حتى ينخرط الجميع في سلك الأول ويحذرون مسلك الثاني .

ثاني عشر : توفر الصلاحيات المطلقة للحاكم العاقل الذى يعي عواقب الأمور ، ويبصر طرائقها الصحيحة ، وعدم تكبيل يده بما يعيقها عن دورها، وهو مفهوم قول الله– تعالى– لنبيه :" هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ"([1]).

سليمان النبي والداعية :

وفضلاً عن ملك سليمان – عليه السلام –والذي سبقت الإشارة إليه ، فلقد رزق معه النبوة أيضاً ، وأعطى من العلم والحكمة ما فضّله على كثير ، ومن هذا التفضيل ما جاء في قوله تعالى : "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ "([2]) .

---

[1]) سورة ص الآية ٣٩ .

[2]) سورة النمل الآيتين ١٥–١٦.

فانظر كيف ذكر سبحانه أنه آتى هذين النبيين علماً ، وتأمل كيف أطلقه؟ فلم يحدد مجاله ، قال الرازي: (أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: عِلْماً ، فَالْمُرَادُ طَائِفَةٌ مِنَ العلم أو علماً سنياً عزيزاً) ([1]) ، ولا حرج أبدا أن يعلن أهل العلم فخرهم بما أوتوا ، وهو من باب التحدث بنعمة الله تعالى إذ (في الآية أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه مما أوتياه من الملك العظيم) ([2])وهو أعظم إرث ، إذ الميراث الذى ذكرت الآية الكريمة ليس ميراثاً لدنيا زائلة فلقد كان لداود عليه السلام غيره من الولد ([3]) فلا وجه لتفرده هنا دون سائر ولده ، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – «إِنَّا مَعْشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»([4]) فتبين أن المراد هنا أنه قد ورث نبوته وعلمه

---

[1]) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله فخر الدين الرازي ٥٤٦/٢٤ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

[2]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ه ١٦٦/١٠ ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى١٤١٥ هـ

[3]) كان لداود تسعة عشر ولدا – انظر معاني القرآن الكريم ،النحاس ١٣٢/٥ ط جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ ه

[4]) المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، ٥ / ٢٦ ، رقم ٤٥٧٨ ، طبعة دار الحرمين – القاهرة . والحديث إسناده على شرط مسلم كما قال الحافظ ابن حجر ، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ٣ / ٢١٨ ،طبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .١٩٨٩م.

وملكه كما أن (الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذى أرسلهم واصطفاهم وفضلهم) ([1]) .

صفات سليمان – عليه السلام– الدعوية في القرآن الكريم :

لقد وهب الله – تعالى – سليمان – عليه السلام – من الصفات والأخلاق ما جعله أهلاً لذلك الملك العريض، وتلك النبوة الفاضلة ، ومن هذه الصفات:

أولاً: أنه ابن نبي من أنبياء الله، وهو مكلف بالدعوة إلى الله – تعالى – وليس ملكاً عادياً، وما أعطاه الله كان من المعجزات، وليس فقط من متطلبات الملك .

ثانياً: سرعة الرجوع للحق قال الله – تعالى – ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٢)

وقال سبحانه : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣) .

ثالثاً: أن الله فتنه أي (اختبره) فتقبل ذلك الاختبار بصبر ، وعاد له منيباً إليه، ورجع إلى ربه واستغفره: قال سبحانه :﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي

[1]) البداية والنهاية ، ابن كثير ١٨/٢ طبعة دار الحديث .

[2])سورة ص من الآية ٤٤.

[3])سورة ص الآية ٣٠.

لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾. وليس هناك مجال للخوض في تفسير الجسد، وما يهمنا هنا هو أنه (كان هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان – عليه السلام – في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك والسلطان،كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم، ويبعد خطاهم عن الزلل ، وأن سليمان– عليه السلام – أناب إلى ربه ورجع ، وطلب المغفرة؛ واتجه إلى الله بالدعاء والرجاء:﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾) (١) .

رابعاً: الفهم والعلم بالحكم والقضاء :فلقد أعطى القدرة على أن يصدر أحكاما صائبة على الأمور والقضاء بين الناس بما أراه الله من الحق والعدل ، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾. أي أن الله – تعالى – كما أعطى لداود ﴿ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ أعطى لسليمان مثله وزاده فهماً ، ومع هذا لم يغتر بما أوتي ؛ وإنما تأدب مع المعطى ، وتذكر نعمة الله عليه

خامساً :حرصه الدائم على الاعتراف بفضل الله – تعالى – وتكرار شكره ، قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ، وقال بعد سماعه كلام

---

[١])في ظلال القرآن ص ٩٩–١٠٠.

[٢])سورة النمل الآية رقم ١٥.

النملة وفهمه ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـــالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) ، ولما استقر عرش بلقيس لديه نسب الفضل في ذلك لربه، فقال ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (٢) .

وقد باشر سليمان – عليه السلام – الدعوة بنفسه حيث دعا إلى الإسلام شفاهة وكتابة " ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين "

وسنذكر ملامح الدعوة ودروسها المستفادة في قصة سليمان – عليه السلام – من خلال المباحث التالية :

[1])سورة النمل من الآية ١٩.
[2])سورة النمل من الآية ٤٠.

المبحث الثاني : حوار سليمان- عليه السلام - مع الهدهد

سنقوم بمشيئة الله تعالى بذكر حوار سليمان – عليه السلام – كما ذكره القرآن الكريم في سورة النمل ، ثم نعقِّب باستخراج التأملات الدعوية التي يستفيد منها الدعاة خاصة ، والدعوة الإسلامية بشكل عام ، وذلك على النحو التالي :

قال الله – تعالى – : " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ " (١)

(١) سورة النمل الآيات ٢٠– ٢٨ .

وخلاصة ما تذكره الآيات من قصص يتضح في الآتى :

لقد كان سليمان – عليه السلام– يتابع أخبار رعيته ويتفقد أحوالهم ، فلم تقع عينه على فرد من أفراد رعاياه – وهو الهدهد – فسأل من معه " مالي لا أرى الهدهد " ، ومن ثم توعد غيابه بلا إذن أن ينزل عليه العقوبة المناسبة إلا أن يأتيه ببيّنةٍ واضحةٍ يُعذرُ بها ، فلما عاد أخبره بقصة اكتشافه لقوم ملكتهم امرأة لها عرش عظيم ومملكة واسعة ، وأنه لم يفتن بملكها بل أغضبه أنه رآها وقومَها يسجدون للشمس من دون الله – تعالى – ، وعلى الفور بدأ سليمان بالتحقيق في خبر الهدهد وتأكد له صدق قوله ، فبعث إليهم بمكتوب كتبه أن لا يتكبروا بما أوتوا ، وأن يأتوه مسلمين لله رب العالمين ، فحاولوا استرضاءه عنهم بالمال ، فلما لم تنجح المحاولة ولم تغن عنهم شيئاً ،توعدهم بجنود لا قبل لهم بها فنزلوا على حكمه وجاءوه مسلمين.

وفى هذه القصة بيان عظيم للأسس التي تقوم عليها الممالك الحقة ، وإيضاح للقواعد الأصيلة التي لا بد منها في قيام الدولة النموذجية الفاضلة ، فضلاً عن الدروس الدعوية الواضحة ، والتي يمكننا الاستفادة بها في طريق الدعوة لنصل إلى ما وصل إليه سليمان – عليه السلام – من إسلام المعاند وتسليم الخصم وهاك بعضها :

أولاً : التفقد وأثره

مما يلفت انتباه القارئ لهذه القصة معنى تفقد الراعي لرعيته وسؤاله عنها، والتّفقّد : هو طلب الشيء عنـــد فقده وغيابه ، يقال : (افتَقَدَهُ وَتَفَقَّده : طَلَبَهُ عِنْدَ غَيْبَتِهِ) ([1]) وفيه شدة التدقيق والبحث ، ومنه : (تفقد أحوال القوم : دقق النظر فيها ليعرفها حق المعرفة) ([2]) ويكون في الغالب عند تيقن الفقد والضياع ،(والتفقُّدُ تَطَلُّبُ ما غاب من الشيء) ([3])

موطنه في القصة : والتفقّد بهذا المعنى واللفظ جاء صريحاً في قول الله– تعالى – ﴿وتفقد الطير ﴾ومعناه :طلب ما غاب منها ، والدرس المستفاد هنا هو وجوب التكلّف لمعرفة المدعو عدداً وحالاً، طمعاً في الوصول إلى هدايته وصلاحه ، وهو تكلّف محمودٌ دلت عليه هنا (صِيغَةُ التَّفَعُّلِ) ([4]) .

ويفهم من هذا أنه طلب تفقّد الطير ، ومعرفة أحواله ، وأنه باشر ذلك بنفسه ، أو طلبه من الغير .وهو مطلوب لاصطفاء الوسائل والأساليب

---

[1])تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيري ٨/ ٥٠٢ ، طبعة دار الهداية.

[2]) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار٢/ ٦٩٧طبعة دار الدعوة ،تحقيق : مجمع اللغة العربية .

[3]) لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور ٣/ ٣٣٧ طبعة دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى.

[4]) التحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور التونسي ١٩ / ٢٤٥ ، طبعة الدار التونسية ١٩٨٤ هـــ .

المناسبة للمدعو ، ومما ورد في صفته– صلى الله عليه وسلم – أنه (..... كان يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ) ([1]) .

وهذه نماذج من تفقده – صلى الله عليه وسلم– أصحابه

– تفقده ثابت بن قيس – رضي الله عنه – ، روى البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ : أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ : مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى ؟ قَالَ سَعْدٌ : إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى ، قَالَ : فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ ثَابِتٌ : أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"(٢) ، فانظر كيف كان النبي يعرف أصحابه ، ويسأل عن غائبهم ، ثم يتلمس لهم الأعذار ، وكيف بشّر بائسهم ، وعلّم طالبهم ، وفى

[1]) المعجم الكبير ،أبو القاسم الطبراني ١٥٥/٢٢ ، طبعة مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية.

[2]) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ٦٢٠/٦ (٣٦١٣).

الحديث دلالة على أنه (يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ وَكَبِير الْقَوْم أَنْ يَتَفَقَّد أَصْحَابه وَيَسْأَل عَمَّنْ غَابَ مِنْهُمْ) (١) .

- تفقده – صلى الله عليه وسلم – من غـــاب عن حلقته لحزنه على وفاة ابنه : فقد روى النسائي وغيره عن معاوية بن قرة عن أبيه – رضي الله عنه – قال : " كان نبي الله – صلى الله عليه وسلم – إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه ، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيُقعدَه بين يديه ، فهلك ، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه ، فحزن عليه ، ففقده النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : " مالي لا أرى فلاناً ؟ " قالواْ : يا رسول الله : بُنَيَّه الذى رأيتَه هلك فلقيه النبي – صلى الله عليه وسلم –فسأله عنه فأخبر أنه قد هلك فعزَّاه عليه ثم قال يا فلان: أيهما كانَ أحبَ إليك ؟ أن تتمتّع به عمرك أو لا تأتي غداً بابا من أبواب الجنة إلا وجدتَه قد سبقك إليه يفتحُ لك؟ فقال يا نبي الله بل يسبقُني إلى أبواب الجنة فيفتحها لي أحبَّ إليَّ ، قال: فذلك لك ، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله جعلني الله فداك ، هذا لفلان خاصة أو لمن هلك له من المسلمين فَرَطٌ كان ذلك له؟ قال : بل كل من هلك له فرط من المسلمين كان ذلك له" (٢) . وفى الحديث أن النبي – صلى

---

١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين النووي ١ / ٢٣٣.

٢) سنن النسائي ، كتاب الجنائز ، باب في التعزية ١١٨/٤ .وقال عنه الشيخ الألباني : صحيح ، (صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤٩).

الله عليه وسلم – عرف غيابه فسأل عنه وعن حاله ، فلما وجد من حاله ما يستدعى المواساة صنع ، وبشره حاثًا إياه على العودة إلى ما كان عليه من خير

– تفقده مَنْ تخلّف عن صلاة الفجر ، فعن أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، – رضي الله عنه – قَالَ: صَلَّى لَنَا – أَوْ صَلَّى بِنَا – رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَقَالَ: «أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟» قُلْنَا: لَا، وَلَمْ يَشْهَدِ الصَّلَاةَ ، قَالَ: «أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟» قُلْنَا: لَا، وَلَمْ يَشْهَدِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، إِنَّ صَفَّ الْمُقَدَّمِ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لَابْتَدَرْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلَاتَكَ مَعَ رَجُلٍ أَزْبَى مِنْ صَلَاتِكَ وَحْدَكَ، وَصَلَاتُكَ مَعَ رَجُلَيْنِ أَزْبَى مِنْ صَلَاتِكَ مَعَ رَجُلٍ، وَمَا كَانَ أَكْثَرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ» (١) .

هذه الشواهد وغيرها تظهر حرص النبي– صلى الله عليه وسلم – على تفقد أصحابه ،وقربه منهم ، وحرصه عليهم ، وتطييب نفوسهم ، وملاطفتهم ،وصدق من قال في وصفه " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ٢/ ٣٦٦ طبعة المكتب الإسلامي – بيروت .

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ "(١) فلم يؤمر بتجاهلهم ، بل أُمر بالاعتراف بهم وتقدير ذواتهم .

ولقد ضرب سليمان – عليه السلام – مثلاً للحاكم القائم على أمر رعيته ، بتفقدها دون تفريق ، إذ (من تمام نظام الدولة أن يكون رئيسها الأعلى ...متعهداً لشئون رعيته صغيرها وكبيرها ، حازماً في محاسبة المسئولين ، فإن لم يكن كذلك انحل التناسق في قوى الدولة ، وانفرط عِقدها ...ألا تراه – عليه السلام – معنياً برعيته ، يتفقدهم ولا يهملهم ؟والذي يعنى بتفقد الطير لا يفُتهُ أن يتفقّد ما هو أهمّ منه) ([٢]) .

ولعل تفقد الطير بعينه هنا في القصة يعطينا ملمحاً خاصاً – في نظر الباحث – لأن الطير من سمته الانطلاق ، فلهذا تفقده ، وفيه وجوب التفقد لكل شيء سيما مَن مِن سمته الابتعاد والغياب والشرود ، وهو إيحاء للدعاة بوجوب التّتبُّع العام ،ثم انبثاق التتبع الخاص منه .

وقد يتولى التفقد بنفسه ، أو يكل ذلك لولاته ، والآية تشملهما ، أما الأول فلنسبة التفقد إليه ، وأما الثاني فلسؤاله من معه بقوله " مالي لا أرى الهدهد " ، وعلى كلٍ فقد أشارت الآية الكريمة إلى أنه

---

[١]) سورة النساء من الآية رقم ١٥٩.

[٢]) تذكرة الدعاة ، البهي الخولى ص ٥٢ طبعة مكتبة دار التراث الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٧م .

(مِنْ وَاجِبَاتِ وُلَاةِ الْأُمُورِ تَفَقُّدُ أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَتَفَقُّدُ الْعُمَّالِ وَنَحْوِهِمْ بِأنفسهم كَمَا فَعَلَ عُمَرُ فِي خُرُوجِهِ إِلَى الشَّامِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ هِجْرِيَّةً، أَوْ بِمَنْ يَكِلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَدْ جَعَلَ عُمَرُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ يَتَفَقَّدُ الْعُمَّالَ.) ([1]) .

وهكذا ينبغي على الدعاة أن ينظروا الناس ويخبروهم إذ لا معنى للدعوة دونهم ، ولا أثر يلمس إلا من خلالهم ، وقد أُرسل الأنبياء بالبيان للناس لا لدواتهم .

ثانياً : الحزم وأهميته

الحزم هو: الضبط القوى فور وجود ما يستدعى ، أو هو الضبط مع الشدة ، وقيل : (ضَبْط الرجُل أمرَه والحَذَرُ من فَواته ، من قولهم : حَزَمْتُ الشيء : أي شَدَدْتَه) ([2])

وهو أسلوب فريد من أساليب الإدارة ،ودليل على قوة الشخصية ، ولئن كان الداعية مأموراً بالرفق واللين في عموم أمره فهو كذلك مأمور بالشدة والغلبة حال وجود المقتضى ، وفى حياة النبي– صلى الله عليه وسلم – ما ينبيك عن خبر ذلك ، وهذه بعض نماذج :

---

[1]) التحرير والتنوير ١٩ / ٢٤٥.

[2]) النهاية في غريب الحديث والأثر ،ابن الأثير ١ / ٩٥٠ طبعة المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

حزمه (صلى الله عليه وسلم) : أوتى النبي – صلى الله عليه وسلم – من الرأفة والرحمة ما يعجز القلم عن وصفه ومع هذا كان يغضب للحق إذا انتهكت حرمات الله ، فإذا غضب لا يقوم لغضبه شيء حتى يُهدم الباطلُ وينتهي.

١- فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله) ([1]) فمع رحمته – صلى الله عليه وسلم – الغالبة إلا أنه يغضب إذا أوذي وانتهكت حرمات الله.

٢- وكذلك فعل في ابن خطل ([2]) يوم فتح مكة حين تعوَّذ بالكعبة من القتل، فأمر بقتله دون سائر الكفار؛ لأنه (كان يكثر من سبه... إذ لا يحل لأحد من الأئمة ترك حرمات الله أن تُنتهك وعليهم تغيير ذلك) ([1])

---

١) صحيح البخاري كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ٦/٢٤٩١(٦٤٠٤)

٢) ابن خطل : اسمه عبد العزى، وقيل: اسمه غالب بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر ابن غالب، قتله سعيد بن حريث، والسبب في قتله أن كان أسلم ثم ارتد،وكانت له قينتان يغنيان بهجاء المسلمين.انظر : تهذيب الأسماء واللغات، النووي١/ ٨٨٦ ، وروى

٢-في قصة أساري غزوة بدر، ومنهم أبو عزة الشاعر، وكان محتاجا وله بنات، فقال : يا رسول الله لقد عرفتَ مالي من مال ، وإني لذو حاجة وذو عيال ، فامنن عليّ ، فمنّ عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً، فقال أبو عزة في ذلك شعرا يمدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه نقض عهده وعاد لنصرة عدوه، فلما كان يوم أحد أُسر ، فسأل النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يمنّ عليه أيضاً ، فقال – صلى الله عليه وسلم – "لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعتُ محمداً مرتين" ثم أمر به فضُربت عنقه ([٢]) .

موطنه بالقصة :

ومما يؤيد هذا المعنى في قصة الهدهد أن سليمان – عليه السلام– لما لم يجد الهدهد في موقعه لم يتغافل ، ولم يتناسى الأمر، بل سأل عنه وعن سبب غيابه ، ف(دل هذا على كمال عزمه وحزمه ، وحسن تنظيمه لجنوده ،

السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس إلا أربعة أنفس : عكرمة بن أبي جهل ،وعبد الله بن خطل ،ومقيس بن صبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح فأما ابن خطل فأُدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعد بن ذؤيب وعمار بن ياسر فسبق سعد عمارا ، وكان أشب الرجلين فقتله انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ١/ ٤٢٩.

١) شرح صحيح البخاري ،ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ٤٠٧/٨ ، طبعة مكتبة الرشد السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ٢٠٠٣م

[٢]) انظر سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ١/ ٣٩٩ طبعة دار الحديث– القاهرة ٢٠٠٦م.

وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقّد الطيور ...وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه) ([1]) .

ومع كون المفقود صغير الحجم لا يُستنقص بغيابه ولا يُستكمل بحضوره ،لكنه قد(تبين لجنود سليمان من صيغة سؤاله عن الهدهد أنه غائب بلا إذن ، لذا تعين أن يؤخذ الهدهد بكل حزم ، وأن يعاقب على تغيبه ليكون عبرة لغيره) ([2]) ، ولو تُرك الأمر بلا حساب لأدى للتهاون والاستهتار، ولاختلّ النظام شيئاً فشيئاً حتى تتهاوى الممالك وتتحقق المهالك .

وهكذا ينبغي أن يأخذ الداعية بعض الأمور التي تفشّت في جمهوره حتى أصبحت من عاداتهم السيئة بالحزم والقوة دون إغفالٍ أو ترك ، إذ التهاون في المنكرات الظاهرة غير محمود ، وغضّ طرف الداعية عن أمراض قومه الواضحة دون علاجٍ خزيٌ وهوانٌ ونكوص واتكال ، وقد أُمر جبريل عليه السلام أن يُهلك قريةً ظلمت نفسها بالمعاصي المفرطة ،

---

[1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،عبد الرحمن السعدي ١ / ٦٠٢ طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

[2]) المستفاد من قصص القرآن ، عبد الكريم زيدان ج١ ص ٤٢٧ طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .

وأن يبدأ في إهلاكها برجل صالح لم يتمعّر وجهه ، ولم تغضب نفسه لسوء صنيعهم ورداءة أخلاقهم .

ثالثاً : العزم على العلاج وضرورته

جاءت مادة العزم في القرآن الكريم في أكثر من موضع ([1]) ، وكلها تعنى : الإقدام لفعل شيء والسعي فيه ، يقال : عزم على الأمر أي (أرادَ فِعلَهُ وقَطَعَ عليه وقته وجَدَّ فيه) ([2]) ، وقيل : العزم إرادة يقطع بها المريد رويّته في الإقدام على الفعل أو الإحجام عنه ، أو هو : تصميم القلب على الشيء، والنفاذ فيه بقصد ثابت (٣)، وأولو العزْمِ من الرُّسُلِ : الذين عَزَموا على أمْرِ الله فيما عَهِدَ إليهم من أُولى الجِدِّ والثَّباتِ والصَّبْرِ، قال الله تعالى " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ " (٤) .

وعلى هذا فوروده بالقرآن الكريم – غالباً – على سبيل المدح مادام المعزوم على فعله حسناً كقوله سبحانه : " وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" ([5]) .

---

[1])انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٦٦، طبعة دار الحديث ، الطبعة الرابعة ١٩٩٨م.

[2])القاموس المحيط ،محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ١/ ١٤٦٨.

[3])الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ٣٥٦/١، طبعة دار العلم والثقافة .

[4])سورة الأحقاف من الآية رقم ٣٥.

[5])سورة آل عمران من الآية ١٨٦.

موطنه بالقصة

وقد رأينا من صور عزيمة سليمان – عليه السلام– في هذه القصة أنه حين لم يجد الهدهد في موقعه لم يترك الأمر هَمَلاً ، فمادام الغياب علناً فكذلك ينبغي أن يكون العقاب ، لهذا قرر الجزاء المتوقع من فوره – وإن كان لم يتزله لكونه لم يتحقق موجبه– فقال : " لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ" (١) (وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا جَوَازُ عِقَابِ الْجُنْدِيِّ إِذَا خَالَفَ مَا عُيِّنَ لَهُ مِنْ عَمَلٍ أَوْ تَغَيَّبَ عَنْهُ.) (٢) .

وللمفسرين في شأن توعده للهدهد أقوالٌ ، فمن قائلٍ أن تعذيبه بنتف ريشه أجمع وبقائه بضعة تترو (٣) ، وإزالة أسباب تفاخره على جنسه بجمال هيأته (٤) أو الْإِلْقَاءُ فِي الشَّمْسِ،مع طلائه بِالْقَطِرَانِ، وَقِيلَ : أَنْ يُلْقَى لِلنَّمْلِ فَتَأْكُلُهُ، وَقِيلَ : إِيدَاعُهُ الْقَفَصَ، وَقِيلَ: التَّفْرِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِلْفِهِ، وَقِيلَ : لَأُلْزِمَنَّهُ صُحْبَةَ الْأَضْدَادِ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَضْيَقُ السُّجُونِ مُعَاشَرَةُ الْأَضْدَادِ، وَقِيلَ : لَأُلْزِمَنَّهُ خِدْمَةَ أَقْرَانِهِ.(٥)

---

١)سورة النمل الآية ٢١.

٢)التحرير والتنوير ٢٤٦/١٩.

٣) قاله أبو محمد بن عطية الأندلسي في تفسيره المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٤/ ٢٥٥ ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ ه

٤) قاله ابن كثير في تفسيره ١٨٥/٦.

٥) قاله الرازي في تفسيره المسمى مفاتيح الغيب ٢٤/ ٥٥٠، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

والملاحظ في هذا أنها تهديدات حقيقية وقرارات مؤثرة، فلم يك تهديده خاوياً من الأثر، أو قراراً لا يمكن تنفيذه فتسقط قراراته اللاحقة وسياساته التالية من أعين جنده، ولم يتملكه الغضب حتى صار لا يعي ، لكنه في خضّم الأحداث ومعترك الوقائع أدرك ووعى ، وأرسل الكلم الواقعي لا الأجوف الخالي من المضمون ، كما أنه وهو في ثورة غضبه وعنفوان هيجانه لم يضع قراراً واحداً ، فإذا عجزت يده عن تنفيذه أُسقط في يده ، بل مايز بين البدائل وفتح أبواب الفُرص ، فلعل ذلك أدعى لهدوئه أولاً ،والتزام مخالفه ثانياً .

وهكذا ينبغي أن يتعلم الدعاة الدرس ، فلا يتجاوزون التجاوز التام عن تقصير بدا أو إهمال ظهر ، وهم منه على مرأى ومسمع ، سيما مع تمكنهم منه ، وقدرتهم عليه حتى لا يُفهم سكوتهم رضا ، ولا يتحول صمتهم إلى موافقة .

عليه أن (يسعي إلى بقاء عزيمتهم علي العمل في الدعوة ، ومنع المثبطات والمفترات ، وما يوهن العزائم ويفتّ في العضد) (١) دون أن يدع الفرصة للتواني والخمول أو الكسل وقلة العمل بالتسرّب إلي نفوس المدعوين ، إن عليه استنهاض هممهم ، وتقوية عزائمهم إنه أمامهم يُرى بكل عين لا يمل ولا يكل ، ولديه من العزيمة مالا يفتُر ، ومن القوة مالا يضعُف ، إن (علي الداعية السائر علي هذا الدرب أن يأخذ الأمر الملقى عليه بقوة وبإرادة

١) أصول الدعوة ، د عبد الكريم زيدان ص ٤٦٨ ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ١٩٩٨م.

صادقة وعزيمة ماضية وهمة عالية يودّع بها حياة الدعة والرخاء ، ويقتدي بسيد الدعاة – صلى الله عليه وسلم – حين نودى بالتكليف وأُمر بالتبليغ إذا به ينهض ويطرح الفراش ولـــــسان حـــاله " مضى عهد النوم يا خديجة ") (١)

وليعش قول الجبار لنبيه يحيى " يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ "(٢) ، وقوله سبحانه لبني إسرائيل : " خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (٣) إنها القوة التي تزيح كل معصية ، وتبطل كل كيد ، وتهوي بكل هوى ، وتطرح كل شهوة ، قوة الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية ، القوة التي تفتّ في عضد الباطل ، وتقتل شهوات النفس وحظ الهوى في القلب ، إنها القوة التي أحبها الله وأحبها رسول الله فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قـــل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان "

---

١) الصفات اللازمة للدعاة إلي الله ، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة ص ٥١ ، طبعة دار الدعوة بالكويت ، ودار الوفاء بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

٢) سورة مريم من الآية رقم ١٢.

٣) سورة البقرة من الآية ٦٣.

وفي شرح الحديث أن (المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة ، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد ، وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى في كل ذلك ، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك .... ومعنى احرص على ما ينفعك : أي : احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة منه على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة) (١) .

رابعاً : اليقظة التامة

من سمات الداعية الحق : أنه يقظ لمحيطه ، لا يغفل عما يدور حوله ، بل يعي ويفهم ، ويدرك ويتعلم ، لا تشغله المظاهر الجوفاء عن القيام بدوره الدعوى ، ولا تجرّه الكليات لنسيان الجزئيات، ولا الأصول لنسيان الفروع، جمهوره جميعاً موضع اهتمامه ، لا يشغله تبر الغنى عن تراب الفقير ، ولا قوة الشباب عن ضعف الشيوخ ، ولا حضور الرجل عن حقوق المرأة ، فكلهم لديه في الحق سواء .

---

١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري كتاب الْقَدَرِ بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ ٤ /٢٠٥٢(٢٦٦٤) ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، والشرح المذكور للمحقق على هامشه .

موطن اليقظة بالقصة

والمتأمل لحـــــديث القرآن الكريم عن قصة غياب الهدهد يدرك بجلاء أن(افتقاد سليمان لهذا الهدهد كاشف عن سمة من سمات شخصيته هي سمة اليقظة والدقة والحزم. فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير، الذي يجمع آخـــره على أوله كي لا يتفرق وينتكث) ([1]) ولك أن تتخيل معي كيف لهذا الملك – مع ما توفر له – أن يتنبّه لغياب هدهد ضعيف لا يملك ،وأين ملوك الدنيا من هذا ؟ ملك دون مملكته كل الممالك يسترعى انتباهه غياب هدهد ، فكم ضيع غيره من الملوك دولاً ، وكم أزهقوا أنفساً ، وكم خربوا عمراناً .

كما أن يقظة سليمان المذكورة ما هي إلا (أنموذج أعلى ليقظة الحس .....، ينصّبه الله – عـــز وجل – ليحتذيه كل من ولى من أمور الناس شيئاً) ([2])

---

١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٥ / ٢٦٣٨ ، طبعة دار الشروق – بيروت– القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـــ.

٢) تذكرة الدعاة ص ٥٣ .

اليقظة في حياة الدعاة

إن درساً عظيماً ينبغي أن يتعلمه الدعاة هنا هو درس الإحصاء والتقصّي، درس إدراك البصيرة والبصر ، فربما كان في رعيته ممن صغر حجمه وهان في عين ناظره الأكبر أثراً والأعظم فائدة .

إن على الدعاة في كل عصر ومصر أن يتيقظوا وينتبهوا إلى ظواهر جمهورهم وبواطنهم ، فربما وجدوا بين تلك الصفوف العريضة موضوعات تستحق الدراسة ، ومواهب تستلزم الاكتشاف ، وكم جعل بعض الموهوبين من واقع مستمعيهم مادة للدعوة ونسيجاً للحياكة فنسجواْ أعظم الخطب ونَظَمُواْ أفضلَ الكتب ، وكم تغافل غيرهم ممن طُمست بصائرهم ، وعَمِيَ ناظرُهم عن أمراضَ كائنة ، وعيوبٍ شائنة فصارت دعوتهم أثراً بعد عين ، وصاروا كمن يخط في الماء أو يحرث في الهواء .

خامساً : العدل والإنصاف مع الرعية

العدل لفظ عام يُقصد به التوسط وعدم الميل ، وهو إعطاء الحقوق لأصحابها كاملة غير منقوصة ، من غير إقحام هوى ، أو حظ نفس ، وقد أمرنا الله – تعالى – بالعدل مع الأعداء والأصدقاء ، فقال سبحانه : " وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (١)

موطنه بالقصة

ولقد بدا العدل والإنصاف واضحين في قصة سليمان – عليه السلام – وذلك من عدة وجوه منها :

١- أنه لم يتهم الهدهد ابتداءً بالغياب ،فهو (يسأل عنه في صيغة مترفعة مرنة جامعة: «ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ؟ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ؟» .ليتضح أنه غائب، وليعلم الجميع ذلك ، وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم،. فالأمر لم يعد سرا. وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند. ومن ثم كان الوعيد : "لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ "٠) (٢) حتى يُنصف الناس من نفسه أولاً ، فإذا نزل بالهدهد عذاب ، أو أحاط به تنكيل أدرك الناس السبب ، وأيقنوا أن سليمان ملك لا يُظلم عنده أحد

٢- اهامه بصره أولاً، فنسب التقصير إلى رؤيته لا إلى من غاب في حضرته قائلاً : " مالي لا أرى الهدهد " ، وتأمل معي الاستفهام(فهو اسْتِفْهَامٌ عَنْ شَيْءٍ حَصَلَ لَهُ فِي حَالِ عَدَمِ رُؤْيَتِهِ الْهُدْهُدَ، أَيْ عَنِ الْمَانِعِ لِرُؤْيَةِ

---

١) سورة المائدة من الآية رقم ٨.

٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٣٨.

الْهُدْهُدِ. وَالْكَلَامُ مُوَجَّهٌ إِلَى خُفَرَائِهِ، يَعْنِي: أَكَانَ انْتِفَاءُ رُؤْيَتِي الْهُدْهُدَ مِنْ عَدَمِ إِحَاطَةِ نَظَرِي أَمْ مِنَ اخْتِفَاءِ الْهُدْهُدِ؟) ([1]) .

والعدل فيه واضح ، فلما لم تكن عنده معلومة أكيدة لم يقصد اتهام غيره ، ولم يرم إلى تشويه صورته لقصور بدا حتى نسب القصور الواقع لنفسه (وهو من كمال ورعه وإنصافه حيث لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته.) ([2]) .

وهو فضلاً عما يبدو فيه من العدالة والإنصاف فيه أيضاً هضم النفس وعدم الاغترار بحظوظها والتورع عن الوقوع في الشبهات .

٣- أنه لم يجعله منفرداً وحده ، فلربما غاب غيره ، فإذا انفرد بذكره ظلمه ، لهذا قال " أم كان من الغائبين " ولم يقل مالي لا أرى الهدهد أم غاب فيكون بذلك قد قصده ، وفى هذا تعليم لكل داعية أن يعتبر المخطئ من جمهوره واحداً من كل ، فكل بني آدم خطاء ، وأن لا يوجه خطابه إليه بالكلية فيدْبر المدعو من حيث أُريد له الإقبال ، ويُحجِم من حيث أُريد له الإقدام ، فيا كل خطيب أو داع لا تُصب بنظراتِك وكلماتِك فرداً واحداً فتقتُلَه وتخسر الاستفادة العامة والتحصيل الكلى ، اجعل

---

[1]) التحرير والتنوير ١٩/ ٢٤٦ .

[2]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ١/ ٦٠٢ .

العموم في قولك أهم من الخصوص ، واعمد إلى تربية النفوس قبل إعطاء الدروس ، واقصد التربية ولا تتعمد التعرية

٤- أنه نوّع له في العقاب والتهديد بما يتناسب مع الجُرم المحتمل حدوثُه ، فلم يقتصر على باب واحد من التهديد إذ ربما كان جُرمه – غير المعروف – أخف أو أشد مما توعده به فقال : " لأعذبنه – أو لأذبحنه– أو ليأتين "

٥- إنصافه من نفسه ، وإعطاؤه الفرصة الكاملة للدفاع ، شريطة أن تكون الحجة قوية بما يتناسب مع حجم الجرم ، ويا له من معنى ما أروعه ، طائر ضعيف يتغيب عن محفل ملك قوى دون إذن منه ، وقد طار الخبر وعرفه الجميع ، ومع هذا ينصفه ويرشده أن يتلمس حجة قوية لغيابه ف(سليمان ليس ملكا جبارا في الأرض، إنما هو نبي. وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره ،ومن ثم تبرز سمة النبي العادل: «أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» . أي حـــــــــجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه.) ([1])

هذه بعض جوانب عدله – عليه السلام– مع هدهد فكيف بالعدل مع العوام ، وكيف بالدعاة إلى الله – تعالى – ممن ينتظر منهم مثل ذلك

[1]) في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٣٨.

وأكثر ؟ انهم لا يزالون عرضة لاستخدام ذلك القسطاس المستقيم – سيما وهم في مناط المسؤولية – مع كثير من الأمور الحسية والمعنوية .

صور من العدالة المطلوبة في حياة الداعية ([1]) :

ونحن على أمل كبير أن يتحقق العدل في حياة المخلصين من الدعاة فيما يلي من أمور :

العدل مع العدو والصديق فلا تجره عداوة الأول للذم في غير اقتناع ، ولا محبة الثاني للمدح دونما داع ،كما لا ينبغي أن تنسيه المحاسن الكثيرة تلك العيوب القليلة ، ولا تلهيه العيوب القليلة عن هاتيك المحاسن الكثيرة ، لا ينبغي أن يلفُظ منهم ما يأتيه ظاهراً حتى لا يفقد مصداقيته ، ولا أن يطلب عندهم ما ليس يأتيه مع تيقن قدرته عليه ، ولينصف قومه من نفسه قبل أن يتلمس إنصافهم فيما بينهم .

ومنها عدالته في تقييم الكتب التي تساق بين يديه دون تقسيم أو تصنيف ، حتى ولو لم تؤيد فكرته أو ترفع رايته ، وليجعل الراية العالية والسلعة الغالية في مرضات ربه لا في رضا جمهوره وحزبه .

إن فئة ممن زعموا أنفسهم من أولى العلم والفقه باتت ترفض كل كتاب ، وتمزق كل خطاب مادام صاحبها منخرطاً في سلك جماعة أو منضماً إلى حزب ، ونسيت تلك العصابة أو تناست أنها بذلك الصنيع ، والفعل

[1]) الكلام هنا برمته ، سيل لسان الكاتب وفكرته ، والإشارة هنا بالكتاب ، لتوقّي الملامة والعتاب .

الوضيع ، قد صنّفت نفسها ، وحزّبت فكرها ، بوعي و بغير وعى ، ولازالت بها الأيام حتى رفضت كل مكتوب ، وآثرت الابتعاد والهروب ، إنه ليس ثمة كتاب عدا كتاب الله يخلو من نقص أو عوار والخير في تصفُّح هذه الكتب بمضامينها عن الانشغال بأسماء مؤلفيها ودور نشرها .

ومنها : العدل في الحكم على الدعوات والحركات ، فالداعية الحق هو الذى لا يعرف له جمهوره انتماءً ، ولا يحدد له مستمعوه ولاءً ، انتماؤه الحق للإسلام ، وولائه الصدق لدين رب الأنام ، يترع عند كلامه ربقة الذل والعبودية لغير رب البرية ، ويترك التصنيف والتأليف فلا يصنف نفسه ، ولا يؤلِّف غيره ، بل هو داعٍ لدين " ألا لله الدين الخالص " ولو أضمر شيئاً ، فعليه أن يتركه شيئاً بلا كينونة ، فلا يجعل للغير فيه مطمع ،ولا يُعرف له ميولٌ ومترع ، يحدِّث الناس عن دينه لا عن جماعته وحنينه ، يواجههم لا يوجههم ، ويهديهم لا يقودهم ، ينتصر للحق ، وليس من شأنه الرق ، يسمع دعوة الدعاة ويدعو بالهداية للطغاة ، يبغى لدى الناس الحقيقة ، ولاتُعرف له طريقه ، لا يُحزّب أناساً ،ولا يبغى عندهم التماساً ، يبغى الحق لا سواه ، ولا يحنى لغيره الجباه ، قدوته النبي ، لا الشيخ ولا الرضيّ ، هذا مع الاعتراف لغيره بالفضل ، والحكم عليهم وعلى نفسه بالعدل ، لا يهضم حقهم ، ولا يحقِّر شأنهم ، ولا يرى نفسه خيرهم ، كبيرُهم عالم ، صغيرُهم فاهم ، يُعطَوْنَ من الأجر ما ليس لآخره ذكر، ولهم من درجات الولاية ، ما يرفع قدرهم بكفاية ، لكن في غير قدسيّة ، ولا وصول للسموات العليّة ،

وكم رأينا من أدعياء شوهوا صورة الإسلام بسوء دعوتهم له ، وصرفوا الناس عن الحق بتحزّبهم وعدائهم ، إنهم الأخسرون أعمالاً السيئون فعلاً ومقالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ومن العدل أيضاً :العدل في التعامل مع النصوص، فالميل إلى جانب الترغيب أبداً جور وشطط ، والميل إلى جانب الترهيب عمداً زيف وغلط ، بل يجمع بين الأمرين ويهدى إلى الحسنيين ، ويسقط الأول على أصحابه ، ويستخدم الثاني عند بعض طلابه ، لا يؤمّن الناس من مكر الله ، فيشعرهم أنهم كالولاة ، ولا ييئسهم ويقطع دابرهم ، حتى يفقدوا الأمل ويتركوا العمل ، بل يعيشهم بين الرجاء والخوف ،

وكذا تناول النصوص بالكلية دون تقطيع أو تعمية ، فليس في دين الله كليات وجزئيات ، ولا لباب وقشريات ، وقد قال الله – تعالى–عن بعض الفئات " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض " ([1]) .

ومن العدل أيضاً : العدل مع الواقع بدراسة أحوال الناس وحياتهم ومجريات أمورهم ، والتطبيب لأدوائهم، والثناء على خيرهم ، وكبت همومهم وشرهم ، فليس من باب العدل أبداً أن يعيش الداعية في وادٍ وجمهوره في وادٍ آخر،وكأنه لا يعرف العصر ، ولا يتأقلم مع أي مصر ،إن الأمة بحاجة ماسة لمن يصل حياتها بدينها ، فلا يشعرها بانفصام ، ولا يرفع عنها التناغم والوئام ، بحاجة إلى دعاة يُخرجون النصوص الشرعية لإسقاطها

[1]) سورة البقرة من الآية رقم ٨٥.

على حياتنا اليومية ، فليس التدين فقط في الصومعة ،بل في نصوصه كل السعة .

سادساً : المؤسسية في الدعوة

اعتبر الإسلام العمل الجماعي ولو ضئُل أجدى وأنفع بكثير من الأعمال الفردية ولو عظمت ، وقرر أجوراً مضاعفة على الفروض المؤداة في جماعة في مقابل ذات الفروض المؤداة بصورة فردية ، فصلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، ولا معنى لتحقق أداء الزكاة دون توفر معطٍ وآخذ ، وفى ذلك من معانى القوة والاستئناس والتماسك مالا يخفى .

المؤسسية بالقصة :

والمتأمل في قصة سليمان – عليه السلام– يلحظ الروح الجماعية فيها ،وتضافرها لإنجاح المهامّ ، ومظاهرها واضحة في الآتى :

١- التصريح بأن سليمان – عليه السلام– لم يكن في طريق الدعوة وحده بلا معين أو مؤازر ، بل حُشر له من الجنود والأتباع ما ساهم معه في أداء المهمة وإكمال الرسالة ،وذلك في قوله سبحانه "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ"(١) ومعنى الحشر : الجمع أي(أَنَّ جُنُودَهُ كَانَتْ مُحْضَرَةً فِي حَضْرَتِهِ مسخّرة لأَمره حَيْثُ

(١) سورة النمل الآية ١٨.

هُوَ. وَالْجُنُودُ: جَمْعُ جُنْدٍ، وَهُى الطَّائِفَةُ الَّتِي لَهَا عَمَلٌ مُتَّحِدٌ تُسَخَّرُ لَهُ. وَغَلَبَ إِطْلَاقُ الْجُنْدِ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ يُعِدُّهَا الْمَلِكُ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ وَلِحِرَاسَةِ الْبِلَادِ) .(١)

فلقد حُشرواْ لخدمته ، ووضعواْ بين يديه ، حتى تستقيم له الدعوة والدولة معا.

٢- وزيادة في الإحكام ، وبلوغاً للإتقان جُعل على رأس هؤلاء الجنود وزَعة أي قادة (يَكُفُّ أَوَّلُهُمْ آخِرَهم ؛ لِئَلَّا يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ عَنْ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هِيَ مَرْتَبَةٌ لَهُ.حيث جَعَلَ عَلَى كُلِّ صِنْفٍ وَزَعَةً، يَرُدُّونَ أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا، لِئَلَّا يَتَقَدَّمُوا فِي الْمَسِيرِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ الْيَوْمَ) (٢) .

٣-سؤاله الخفراء وإشراكهم في الجواب ، مع انتظار الرد منهم ،فقد (قَالَ لِمَنْ يَلُونَ أَمْرَ الطَّيْرِ: مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ... وَالْكَلَامُ هنا مُوَجَّهٌ إِلَى خُفَرَائِهِ).(٣) يسألهم ليتقرر عندهم ، وعند من تحتِهم أن صنيع الهدهد ليس مقبولاً ولا معقولاً حتى يرتدع نظراؤه ، وحتى يشتركواْ في تقرير عقاب مماثل لكل من أتى صنيعه ، ولو كان ذلك التقرير بالسماع .

٤-إشراك أفراد الأمة في المسؤولية : فإشراك الأفراد في المهام العظيمة ، وإشعارهم بوحدة الغاية طريق لاستنباط مكنون جهودهم ، وسبيل

---

١) التحرير والتنوير ٢٣٩/١٩.

٢) تفسير القرآن العظيم ١٨٣/٦.

٣) التحرير والتنوير ٢٤٥/١٩.

لاستخراج القوى الخفية التي ربما أماتها التهميش ، إن بداخل كل مخلوق من وسائل القوة وأسباب المنعة ما قد تظهره الأحداث المتعاقبة والظروف المتتالية ، ولربما كشفت المحن عن بطولات ومنح، والمتأمل بعمق لتلك القصة يلمح المنظومة السليمانية المتكاملة ، ويرى أن الله – تعالى– قد عدد عناصر القوة بتلك المملكة ، فالجن المارد يعمل بين يدي سليمان ، والشياطين الجبارة تبنى وتغوص ، والطير المنطلق محشور بين يديه ، والنملة الضعيفة تتكلم ، ولها مع الملك حديث مطول أضحكه ، والهدهد الأعجمي يحاور ويناقش ويعقب ويعلق ، والعفريت المتمرد يعرض عليه الإتيان بعرش الملكة، ثم يأتي به الذى عنده علم من الكتاب ، إنها منظومة متكاملة آمن فيها الكل بغاية ، ورأواْ لوجودهم فائدة ، الكل يعرض ما لديه، ويسعى جاهداً ليقيم لبنة في بناء الدولة والدعوة ،إنك (ترى الهـــدهد يعتز بواجبه ، ويتفاصح في ثقة ، مخاطباً سليمان الحاكم بقوله : " أحطت بما لم تحط به...." وخطابه هنا ليس خطاب المهمل المذنب المضطرب ، وإنما هو خطاب الذى رضي عن نفسه ، واطمأن إلى أداء واجبه) ([1]) .وهكذا تبنى الممالك القوية والإدارات العظيمة بسواعد أبنائها المخلصين ممن تحملواْ الأمانة وأدركواْ سمو الهدف .

[1]) تذكرة الدعاة ص ٥٤.

سابعاً : النظام والدقة

يعد النظام ضرورة من ضروريات الحياة للأمم والمجتمعات الراقية ، وعاملاً من عوامل رقيها ونهضتها ، وقد اتخذه الإسلام طريقاً أساسياً في بناء صرحه وتشييد أركانه ، فأول أركان الإسلام مكون من عنصرين متلازمين لا يستقيم أحدهما دون الآخر ، والصلاة نموذج حي لا ينفك عن الزمان والمكان والناس ، أداء مخصوص في وقت مخصوص بطريقة مخصوصة ، وكذا الزكاة والصوم والحج وما يرتبط بها من وقت وأداء وشروط وضوابط

موطنه بالقصة :

وقد بدت مراعاة النظام والدقة في قصة سليمان– عليه السلام – واضحة في عدة صور منها :

١– معنى الجندية المذكورة ،ويفهم ذلك ضمناً من قوله تعالى " وحشر لسليمان جنوده " والجنود هم : (الأعوان والأنصار) ([1]) ، ولا يخفى ما فيه من النظام ومعرفة الأدوار ، والتعاون التام مع حفظ المقامات ، وتوحد الأمر والنهى تحقيقاً لأسباب النصر والتمكين حيث إن (طاعة

[1]) مختار الصحاح ١/ ١١٣.

الجنود للقائد في كل ما يأمر به وينهى عنه شرط في الظفر واستقامة الأمر) ([١]) .

٢- تعيين الولاة ، وقادة الألوية والأفرع ،وقد ذُكروا في القصة بصفة الوزع ، و(الوازع في الحرب : الموكل بالصفوف يتقدم الصف فيُصلحه ويُقَدِّم ويُؤَخِّر) ([٢]). ، وقوله تعالى :" فهم يوزعون " أي (فهم يُجْمَعون في مكان جامعٍ، ويُرَتَّبونَ صفوفاً ويُسَوَّوْن بانتظام، للقيام بما يكلفون من أعمال،... ومعلوم أنّ الجنود حينما يُجْمعون صفوفاً مُسوَّاة منتظمة يسْهُل توجيهُ الأوامر والنواهي لهم) ([٣]) .

ولا يكون ذلك إلا إذا أُعطى الوزعة من الصلاحيات ما به يكفُّون الصفوف ويرتبونها ، وهو سر إيراد الفعل هنا ، أي أنهم باشروا ذلك التنظيم بالفعل

---

[١]) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ١/ ٧٧ ، مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١

[٢]) المعجم الوسيط .إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار١٠٢٩/٢طبعة دار الدعوة .

٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ٢٨٦/١، طبعة دار القلم ،دمشق ، الدار الشامية – بيروت ، الطبعة الأولي ١٤١٦ه -١٩٩٦م.

٣- معنى الحشر :وهو الإحضار والجمع من أماكن مختلفة حتى ينتظمواْ في مكان واحد لعمل واحد سعياً للوصول لهدف واحد ، (وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَالْحَشْرُ هُوَ الْإِحْضَارُ وَالْجَمْعُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمُخْتَلِفَةِ) ([1]) .

واستئناساً بما كان عليه جنود سليمان من نظام ، واقتداءً بهم وبسياسة سليمان معهم ، نقول : ...(لابد أن يعرف كل داعية موقعه في صفوف الجماعة ، ومنزلته فيها ونوع العمل المنوط به ، وأن يكون للجماعة وزعة يمنعون الأعضاء من تجاوز حدودهم ومراتبهم في صفوف الجماعة ، وأن يكون لهذه الجماعة أمير يطاع ، يشرف على أعضاء الجماعة وعلى الوزعة ....، وقد يحسن أن يكون لكل صنف من أعضائها وازع ، فيكون لصنف العمال وازع ، ولصنف الطلاب وازع ، وهكذا قياســــــــاً على ما كان يفعله سليمان – عليه السلام –) ([2]) .

٤- الإشارة إلى أماكن الطير بقوله " وتفقد الطير " فيه إلماح إلى تحديد أماكن الطير في مملكته ومعرفتها حتى استطاع بقوته البشرية المحدودة أن يتفقد ذلك ويحصيه

---

١) مفاتيح الغيب ٢٤/٥٤٨.

٢) المستفاد من قصص القرآن الكريم ١/ ٤٢٤.

٥- عدم بُعد غياب الهدهد وقتاً ولا مكاناً رغم توفر سببه ، وارتفاع الملامة عنه ، لأنه لم يألف الإهمال في المملكة ،وهو مفهوم من قوله :" فمكث غير بعيد"أَيْ (مَكَثَ زَمَنًا غَيْرَ بَعِيدٍ، أَوْ فِي مَكَانٍ غَيْرِ بَعِيدٍ، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ يَقْتَضِي أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ) .([1]) وقد (وصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان).([2]) وهو دال على هيبته سليمان وتقديره لمكانه واحترامه أمره ، ومع أنه كان في مهمة دعوية عظيمة الشأن إلا أنه مع ذلك حاول إنجازها بأسرع وقت لأنه تذكر أنه خرج في الأصل بغير استئذان!.

ومع هذا (نفهم من الآية أن المرؤوس يجوز له أنْ يتصرف برأيه، ودون أن يأخذ الإذن من رئيسه إنْ رأى مصلحة للجماعة.شريطة المحافظة على النظام العام ، وعلى الرئيس أن يُقدِّر لمرؤوسيه اجتهادهم، ويلتمس لهم الأعذار) ([3]) .

٦- عدم تجاوز الأقدار ، وهو مفهوم من أمر سليمان للهدهد بالتنحي لمجرد إلقاء الكتاب إليهم قال سبحانه " اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ

---

١) التحرير والتنوير ٢٤٨/١٩.

٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ،أبو البركات عبد الله النسفي ٥٩٩/٢. طبعة دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨. .

٣) تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ص ١٠٦٧٨ ، طبعة مطابع أخبار اليوم.

تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ " (أَيْ تَنَحَّ عَنْهُمْ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ تَتَوَارَى فِيهِ لِيَكُونَ ما يقولونه بمسمع منك) (١) .

٧- تهديد الغائب بلا إذن وانتشار خبر التهديد للمحافظة علي النظام العام، ومفهومه عدم السماح بذلك بلا إذن مسبق أو حجة قوية تتبرأ بها ذمة الغائب وترفع عنه الملامة .

وهكذا رأينا النظام معيناً على توظيف الجهود ، راسماً لخطاها الثابتة، فلا بد لكل جماعة من رئيس ، وفي هذا (يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ وِلَايَةَ أَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ ؛ بَلْ لَا قِيَامَ لِلدِّينِ وَلَا لِلدُّنْيَا إلَّا بِهَا . فَإِنَّ بَنِي آدَمَ لَا تَتِمُّ مَصْلَحَتُهُمْ إلَّا بِالِاجْتِمَاعِ لِحَاجَةِ بَعْضِهِمْ إلَى بَعْضٍ وَلَا بُدَّ لَهُمْ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ مِنْ رَأْسٍ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ إلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ "(٢) فَأَوْجَبَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَأْمِيرَ الْوَاحِدِ فِي الِاجْتِمَاعِ الْقَلِيلِ الْعَارِضِ فِي السَّفَرِ تَنْبِيهًا بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ

---

١) مفاتيح الغيب ٢٤/ ٥٥٤ .

٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، ٢٢٧/١١ (٦٦٤٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، والطبراني في المعجم الكبير المعجم الكبير ١٣ /٥٦ (١٣٩) ، طبعة دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية.، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٥/٤ (٦٣٦٢) وقال : رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

الِاجْتِمَاعِ . وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إلَّا بِقُوَّةِ وَإِمَارَةٍ . وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ الْجِهَادِ وَالْعَدْلِ وَإِقَامَةِ الْحَجِّ وَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ . وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ لَا تَتِمُّ إلَّا بِالْقُوَّةِ وَالْإِمَارَةِ) ([1]) وفى التأخير تنظيم وتجميع للجهود ، والقليل من الأعمال المنظمة خير من الكثير من أعمال الفوضى والتسيب والإهمال .

ثامناً : التأني وضبط النفس

الأناة في اللغة:التثبت وعدم العجلة، يقال: تأني في الأمر: مكث ولم يعجل (٢)، ويقال: تأنى في الأمر: ترفق، وتنظر، وتمهل، واستأنى به: انتظر به وأمهله (٣). ، والتأني بمعنى التبيّن والتثبت في الأمور، وعدم العجلة (٤).

والأناة من صفات أولى العقل والرزانة، بخلاف العجلة؛ فإنها من صفات أهل الرعونة والطيش،وقد كان النبي–صلى الله عليه وسلم– يربي أصحابه على الأناة والتثبت ،حتى ولو دقت طبول الحرب ، فلابد من دعوة عدوه قبل القتال إلى إحدى ثلاث خصال:

---

١) مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٣٩١/٢٨، تحقيق أنور الباز – عامر الجزار ، طبعة دار الوفاء ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م .

٢) المصباح المنير: مادة: أني (١/ ٢٨).

٣) انظر: مختار الصحاح، مادة: أني: ١٣ المعجم الوسيط (١/ ٣١).

٤) انظر: المعجم الوسيط، مادة أبان (١/ ٨٠)، ومادة ثبت (١/ ٩٣).

١ – الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

٢ – فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

٣ – فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم ([1]).

موضعه بالقصة

ومما جاء في تأنى سليمان – عليه السلام – مع الهدهد وعدم عجلته، قوله سبحانه : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ* لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) ،حيث لم يتعجل بإقرار عقوبة بعينها قبل أن يأتي الغائب فيسمع منه ، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل المتثبت (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) أي حجة قوية واضحة توضح عذره وتنفي المؤاخذة عنه [2].

والتأني في الحكم ، وعدم تعجل الثمرة باب من أبواب الحكمة وتخفيف للمسؤولية قال الله –تعالى– : (ولاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسئولا) [3]، فلا ينبغي أن يبرم الداعية أمرًا إلا وقد تثبت منه، ورفع الشبهة عنه ، فيضع الأمور في مواضعها، أما

---

[1]) انظر :مسلم مع النووي: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٢/ ٣٧)

[2]) في ظلال القرآن ٢٦٣٨/٥.

[3]) سورة الإسراء الآية ٣٦.

العجلة فإنها تعرضه لكثير من الأخطاء والإخفاقات ،وتوقعه في شرك التعثر والارتباك، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ..

تاسعاً : الحلم وسعة الصدر

الحِلمُ: بالكسر: العقل ([1]) ، وحلم حلمًا: تأنَّى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة، وقوة، وصفح، وعقل([2]) ، ومن أسماء الله – تعالى –: (الحليم) وهو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم([3]) .

والحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ([4]) . وهو حالة متوسطة بين رذيلتي: الغضب، والبلادة ، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصر كان على رذيلة، وإن تبلّد، وضيّع حقه ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلى بالحلم مع القدرة، وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة([5]) .

---

[1]) القاموس المحيط، باب الميم، فصل الحاء، ص ١٤١٦، طبعة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان

الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

[2]) المعجم الوسيط، مادة: حلم ١/ ١٩٤.

[3]) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الحاء مع اللام ١/ ٤٣٤.

[4]) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة حلم، ص ١٢٩.

[5]) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ١٢٩،طبعة دار المعرفة ، لبنان .

أثر الحلم ورحابة الصدر في قبول المتلقي :

إن سماحة النفس ورحابة الصدر يؤديان إلى التأثير التلقائي، بل قد يحيلان العدو صديقاً ، وقد قال الله – تعالى – "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"([1]) فسمح النفس يستطيع (أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له، وثقة الناس به، لأنه يعاملهم بالسماحة والبشر ولين الجانب، والتغاضي عن السيئات والنقائص، فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح كان في نصحه رقيقا لينا، سمحا، يسر بالنصيحة ولا يريد الفضيحة، يسد الثغرات ولا ينشر الزلات والعثرات) ([2]) .

موطنه بالقصة :

ومما علمتنا إياه قصة الهدهد : أن الداعية الحق هو من يفسح المجال لمدعويه ليتحدثواْ تقديراً لذواتهم ، واعترافاً بإمكانياتهم ، يفسح صدره للاستماع إليهم كما يفسحون له ، ويفتح قلبه لحل مشكلاتهم كما يفتحون له قلوبهم فقد (اتسع حلم سليمان لسماع دفاع الهدهد عن نفسه ، والتصريح بأنه علم من الأمور مالم يعلمه سليمان ، وأن تحصيله هذا العلم والإحاطة بمضمونه هو سبب غيابه ، فقبل سليمان عذر الهدهد وحجته قبولاً معلقاً على ظهور صدقه فيما يجربه فيه ....) ([3]) .

---

[1]) سورة فصلت من الآية ٣٤ .

[2]) الأخلاق الإسلامية (٢/ ٤٤٣).

[3]) المستفاد من قصص القرآن الكريم ٤٣١/١.

ألا ترى كيف استمع ذلك الملك – مع عظم ما أوتى –إلى كلم الضعيف من رعاياه ؟ فكيف حاله مع الأشدّ عوداً ، والأظهر وجوداً؟ ، ألا ترى إليه وهو ينصت حتى يفرغ الهدهد ، وينتهي من كلامه ، ومع كونه أطال في كلمه لكنه لم يقاطعه حتى ينتهي ، فأي طاقة تلك ؟ وأي هدوء وتحمّل هذا الذى استفاض القرآن الكريم في ذكر مدلوله ؟ وأين الدعاة من هذا الدرس الرائع ؟ إن بعض الدعاة قد تستهويه شهوة الكلام فلا يسمع صوتاً ، وقد يُعجب بنفسه فلا يرى شخصاً، إنه لا يرى إلا صورته ، ولا يسمع إلا صوته ، فبئست الدعوة وبئس والله الداعية ، إذ لن يُعطى كما أُعطى سليمان ، ولن يكون في جمهوره الأقل من الهدهد ، لكنها القلوب التي لا تعي والعقول التي لا تدرك، أعاذنا الله وإياكم من العجب والكبر .

لقد أبصر الملك نملة، فأشخص النظر صوبها، وأصاخ السمع إليها، وبما عُلِّم من منطق الطير والحيوان حاول أن يتفهم أمرها، لقد علم أنها تتخوف من بطش أقدام الجنود في ركبه ، لقد سمع كلامها وتفهّم شكواها، فتبسّم من قولها، ورقَّ قلبه الكبير رفقًا لجرمها الصغير، فرحمها وأخواتها، سمعها وفهم قولها ولم تكن إلا واحدةً من رعايا مملكته التي ضمّت إلى جانب الإنس والجن أنواعًا وألوانًا من الحيوان والطير والهوام.

وعلي الفور أدىّ حقّ هذه النعمة ، فشكر ربّه وسعي في إنصاف خلقه ، مُدركاً أن حاجته للرحمة واللطف أشد من حاجة هذه المخلوقات التي لا تملك ، ولهذا قال: "وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" لقد استوعب

سليمان الدرس وبقي دور الدعاة من بعده وكل قارئٍ لقصته ليعلم الناس جميعاً أن رحمتهم للضعيف قربٌ من الله اللطيف فتدبّر واعقل ، وتقربّ إلي الله برحمة عباد الله .

المبحث الثالث: الهدهد الداعية

لم تتوقف أحداث القصة الدائرة بين سليمان – عليه السلام– والهدهد بشأن ملكة بلقيس على دور سليمان الدعوى باعتباره نبياً ، بل تجاوز الأمر ذلك بتكامل المنظومة السليمانية وانخراطها في سلك الدعوة ، حتى ظهر للهدهد فيها دور دعـــوى ولسان طلق لا يُنكر، ذكره الله – تعالى – في قوله : " فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيْدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "([1]) .

والحاصل أنه لما تأكَّد سليمان – عليه السلام– من غياب الهدهد تغيَّظ عليه وتوعَّده، فما هو إلا وقت يسير حتى جاءه الهدهد فقال له : (أحطت بما لم تحط به) أي : علمت ما لم تعلمه من الأمر ، ثم سرد ما رأته عينه في سياق جميل وعبارات موجزة تحوي معانيَ عظيمة ،وفي هذا السياق قضايا أدركها الهدهد وأفصح عنها لنبي الله سليمان منها :

[1]([1])سورة النمل الآيات ٢١–٢٦.

الأولى : إدراكه أنه أحاط بما لم يكن في علم سليمان .

الثانية : معرفته للبشر والأماكن وتمييزه بينها.

الثالثة : تيقنه من تولية المرأة وإنكاره ذلك .

الرابعة : إدراكه ما أوتيته سبأ من متاع الدنيا .

الخامسة : معرفتُه بعرشها وعظمتِه .

السادسة : إدراكه ما هم عليه من السجود للشمس من دون الله .

السابعة : إدراكه أنَّ هذا شرك بالله تعالى .

الثامنة : معرفته بالشيطان وتزيينه للباطل .

التاسعة : تفرقته بين الضلال والهدى .

العاشرة : غضبه الشديد وغيرته علي التوحيد.

وتتخلل هذه القضايا دروس دعوية عظيمة نسوقها فيما يلى :

أولاً: الشعور بالمسئولية

لا يتحقق الجِدّ في الدعوة إلا إذا توافر لدي القائمين عليها شعور ذاتي بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم؛ مسؤولية العمل للإسلام ، تلك المسؤولية التي قدّرها الهدهد فقطع الأميال لأجلها ، حتى علم أمر المدينة الكافرة ليعود بهذا الخبر المفزع الذى آلمه ،إنه – ورغم كونه الطائر الذى لا يملك – لم تغرّه المناظر الخلاّبة ، ولا الأنهار الجارية ، ولا الحدائق الغنّاء بمملكة بلقيس ، ولم يلفت انتباهه من مُلكها إلا ما ينبغي أن يكون حافزاً لها ولقومها على عبادة

ربها ، لقد اختصر المسافات الشاسعة للتعبير عن اتساع ملكها في كلمات قلائل " أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم " ، ولكنه في المقابل أطال النَفَس في بيان معتقدهم الفاسد الذى رآه بعينه ، لقد آلمه ما رأى حتى إنك لتستشعر في حديثه عظيم الأسف الذى ألمّ به حين رأى المنكر قائلاً " ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبئ في السموات والأرض " .

إننا بحاجة إلى شعور الهدهد في تحسس واقع أمتنا وما يحاك لها من الدسائس،وفي حاجة لإخبار الهدهد ومحاولاته السعي في إبادة الباطل وقلعه من جذوره.

إن علي الداعية أن يكون صادق الحس تجاه ما يرى ،وليسمع بقلبه خبر قومه ، وليعش شعور نبيه تجاه من كفر " لَعَلّكَ بَاْخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لَا يَكُوْنُواْ مُؤْمِنِينَ " ([1]) إن عليه أن ينظر بقلبه لمآسي المسلمين يستشعر أنَّات البائسين، وجراحات المستغيثين ، وصرخات الثكلى والمنكوبين ، نريده أن يفني في أمته فيتألم بآلامها، ويُسرّ بمسرّاتها، لا يطلب لنفسه إلا ما تحتاجه الأمة ، ولا يرى خطراً إلا ما داهمها .

[1]) سورة الشعراء الآية رقم ٣.

(إننا بحاجة ماسَّةٍ إلى العناصر التي تتّقِدُ نفوسُها شعوراً وإحساساً بواجباتها نحو الإسلام ،يغلى فيها الشعور بالمسئولية غلياناً) ([1]). ، لا يهدأ تفكيرها للعمل لهذا الدين حتى الرمق الأخير ، ولا تزال عبارة سعد بن الربيِّع لزيد بن ثابت رضي الله عنهما – ونفسُه تفيض يوم أحد " قل لقوميَ الأنصار لا عذر لكم عنـــــد الله إن خَلُصَ إلى رسول الله وفيكم عينٌ تطرف " ([2]) – ترسم الشعور الفيّاض والمسئولية الكاملة عند من تحمّلواْ تبليغ الدعوة في أحلك الأوقات وأشد الساعات .

وفي القصة دلالتها على أن المسلم مهما كانت حاله ، وإمكاناته ، إلا أنه ينطلق من رسالة ويحمل هّماً ، لقد حمل الهدهد همَّ الدعوة إلى التوحيد ، فلمَّا وجد خلافه – عَجب – وجاء بالخبر وألقاه بين يدي سليمان بعد أن أدرك المشكلة وحددها بكل وضوح وشفافية ، وضعها ولم ينته دوره حتى انتهت القصة – كما سنعلم– بإسلام ملكة سبأ وقومها مع سليمان لله رب العالمين.

---

[1]) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله ، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة ص ٧٠ طبعة دار الدعوة بالكويت ، دار الوفاء بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ٣ / ٢٨٥ ، رقم ١١٦١ ، طبعة دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث ، بيروت + القاهرة ، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

ثانياً : الجرأة في العرض

الداعية الحق هو الذي يدعو للحقّ ، والحقّ من شأنه الظهور ، كما أن الباطل من صفته الضمور ، " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا" (١) ومن ثمّ لزم علي الداعية إلي الحق أن يتحلى بالجرأة والشجاعة نصراً للحقّ وإعلاناً لدعوته ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة (فانطلق ناسٌ قِبلَ الصوت ، فتلقّاهم رسول الله – صلي الله عليه وسلّم – راجعاً وقد سبقهم إلي الصـــوت وهو علي فرسٍ لأبي طلحة ، وفي عنقه السيف وهو يقول : " لم تُراعواْ لم تُراعواْ ") (٢) .وهكذا رأينا الشجاعة والقوة والثبات في كلّ أموره – صلي الله عليه وسلّم – بما يحتّم علي الدعاة سلوك منهجه .

موطنه بالقصة :

استهل الهدهد خطابه بالحديث عن نفسه ونسبة الإحاطة إليها ، ثم تأخير المَلِك ونَفْيِ الإحاطة عنه ،وهى جرأة وقوة سيّما مع علو مقام المستمع ،فلم يتصدّر المشهد مرتاباً ولا متردداً ، وإنما خاطبه بالقوة ، (ولا شكَّ أنَّ هذا الخطاب الذي كافح به إنما جرّأه عليه العلم، وإلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان مع قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم، وفى هذا ورد أنَّ بعض أهل العلم سُئل عن مسألة فقال : لا أعلمها، فقال

---

[١]) سورة الإسراء الآية ٨١.

[٢]) صحيح البخاري ، كتاب الفضائل ، باب شجاعة النبي – صلي الله عليه وسلم – وتقدّمه للحرب ٩٩/٣ (١٤٨٩) .

أحد تلامذته : أنا أعلم هذه المسألة، فغضب الأستاذ وهمَّ به، فقال له أيها الأستاذ : لستَ أعلم من سليمان بن داود ولو بلغتَ في العلم ما بلغتَ ، ولستُ أنا أجهل من الهدهد وقد قال لسليمان أحطت بما لم تحط به ، فلم يعتب عليه ولم يُعنِّفه) ([1]) ، ومن جرأته تصديره القول بالإحاطة .

الإحاطة في كلام الهدهد

لم يتجرأ الهدهد في حديثه مع سليمان – عليه السلام– بمعلوم ضئيلٍ حصّله ،ولم يته فخراً بما أدرك مما لم يطّلع عليه كثير، وإنما كان كلامه دفعاً عن نفسه وتبرأة لساحته،ولذا تراه قد استرسل في بيان سبب غيابه ، بادئً استرساله بنسبة الإحاطة إليه وهى : (العلم بالشيء من جميع جهاته) ([2]) ، وقيل : (الاشتمال على الشيء وجعله في حوزة المحيط) ([3]) . فلم يقنع بأخذ طرف من الأخبار، بل مازال ببلقيس وقومها حتى (أحاط) بأخبارهم، وفي هذا من الدقة والضبط واستحضار أسباب الغياب باستغراق الوقت في الإحاطة والاطلاع ما لا يخفى .

---

١) انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ١٨١/١ .طبعة مكتبة الصفا، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن ،أبو محمد البغوي ١٥٥/٦.طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧، فتح القدير ،محمد بن علي الشوكاني ١٥٣/٤.، طبعة دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ

٣التحرير والتنوير ٢٥٠/١٩.

وفي قول الهدهد ردٌّ على من قال: إن الأنبياء تعلم الغيب.، وفيه أيضاً أن (الصغير له أن يقول للكبير ،وكذا المتعلم للعالم :عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقّنه) ([1]) .

والواجب علينا عموماً ألا نبادر إلى الحكم على الشيء حتى نحيط به، ونلمَّ بجوانبه،تلك الإحاطة التي تخلق الشجاعة في القلب والجرأة في العرض ، من أجل ذلك كانت (الشجاعة خلقاً أصيلاً في الداعية إلي الله تعالى ، وسمةً لا تنفكّ عنه ، وهو يتقلب بين الناس ، ومدد هذه الشجاعة الواجبة ونبعها الدافق أنّ حقّ الله لابد أن يسود ، وأن هداه لابد أن يعلو..... وأنّ المنتسبين إليه ما ينبغي أن تخفت أصواتهم ولا أن يُغلبواْ علي تعاليمهم ... إنّ الأمة جمعاء مكلفةٌ أن تكون شجاعةً في حماية الدين وردِّ العادين علي حدوده من الجَّان والفُجَّار، فإذا خذلتها قواها دون القيام بهذا العبء فقد تخلّت أمام الله عن رسالتها وسقطت من عينه ، وحُرمت من رعايته ، وإذا كان هذا هو حقّ الإسلام علي وكذا الداعية إذا أراد الرفعة في دعوته والتمكن من أمته عامةً فحقه علي الدعاة المنتصبين لحمايته المضطلعين برســـــــالته أثقل وأجلّ) ([2]) .فإذا أراد الداعية الرفعة في دعوته ، والتمكُّن من قلب جمهوره،

---

١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،د وهبة بن مصطفى الزحيلي ٢٨٧/١٩.طبعة دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ ه

[2]) مع الله – دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ص ١٦٨ .

والوثوق بنفسه والتأثير بكلمِهِ ، فعليه الإحاطة بدعوته والإلمام بمحاضرته حتى لا يضل الطريق ولا يعدم الرفيق .

ثالثاً : التعجب عند وجود مقتضاه

خلق الله – تعالى– الإنسان ، وجعل له من الكرامة والفضل ما ليس لسائر الأجناس ،وجعل له من وسائل الإدراك ما يمكنه من التمييز بين الأشياء والمفاضلة بين الطبيعي منها والعارض ،وإظهار الإعجاب أو التعجب، ولقد منح الله تعالى هدهد قصتنا بعضاً من ذلك ، فلقد أظهر تعجبه مرات كثيرة منها :

١– تعجبه من تمكن المرأة من الرجال ، وتملكها لهم ، على غير المعهود لديه ، وعلى غير ما تقتضيه الفطرة ، فقد أدرك الهدهد في مملكة سليمان تمكّن الرجال من مقاليد الأمور ، فلما رأى خلافه عند غيره أنكره وأعلن غضبه قائلاً:(إني وجدت امرأة تملكهم)وقد (أُرِيدَ بِالتَّكِرَةِ التَّعَجُّبُ مِنْ جِنْسِهَا كَقَوْلِهِمْ: بَقَرَةٌ تَكَلَّمَتْ، لِأَنَّ الْمُرَادَ حِكَايَةُ أَمْرٍ عَجِيبٍ عِنْدَهُمْ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةٌ مَلِكَةً عَلَى قَوْمٍ. وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: وَجَدْتُهُمْ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ) ([1]) وفى التنكير هنا دلالة على الاستهجان ، وتعبيره بالتملك أقوى من تعبيره بالحكم ، أي (تتصرف بهم ولا

[1]) التحرير والتنوير ٢٥٢/١٩.

يعترض عليها أحد) ([1]) ،فقد ملكت عقولهم حتى حولتها ونكّست فطرتها، واليوم يريد أشباه البشر من المنافقين زجَّ المرأة في الوزارات والقضاء بل ورئاسة الدول، وقد جاء في الحديث :(لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة) ([2]). ؛ والمعنى (لا يظفر قوم بالخير ولا يبلغون ما فيه النفع لأمتهم ، وقد جعلوا لامرأةٍ الولاية العامة عليهم من رئاسة أو وزارة أو إدارة أو قضاء)([3]) ، وذلك (لنقصها وعجز رأيها، ولأن الوالي مأمور بالبروز للقيام بأمر الرعية ، والمرأة عورة لا تصلح لذلك، فلا يصحُّ أن تُولَّى الإمامة ولا القضاء) ([4]) . ويؤكده إزالة سليمان عليه السلام لملكها ، ولو كان ذلك سائغاً لأقرّها عليه ودعاها للإسلام فقط ، ولكنه قال :(ألا تعلوا علي).

---

[1]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ١٨٨/١٩ .طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازى والسير،بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ٨/٦ (٤٤٢٥)، كتاب الفتن ، باب الفتن التي تموج كموج البحر ٤٤/٩(٧٠٤٧).دار ابن كثير،اليمامة– بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٣) شرح وتعليق د. مصطفى البغا على صحيح البخاري (١٦١٠/٤) (٤١٦٣) ،طبعة دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ه.

[4]) فيض القدير، المناوى ٣٨٦/٥، طبعة دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م

وفى حديث الهدهد ووصفه ما كانت عليه المرأة وقومها جواز الاستعانة بالغِيبة على تغيير المنكر([1])

٢- التعجب من عِظَم المُلْك مع انحطاط الفِكْر: فقد رأى الهدهد من عظيم ملك سليمان ما هو ظاهر ، مع عبادة سليمان وقومه لله رب العالمين ، ثم لفت نظرَه شأن تلك الملكة العالي مع انحطاط نفسها وتخلّف مدركاتها، ولهذا(أَعْقَبَ التَّنْوِيهَ بِشَأْنِهَا بِالْحَطِّ مِنْ حَالِ اعْتِقَادِهِمْ، وَلِأَجْلِ الِاهْتِمَامِ بِهَذَا الْخَبَرِ أُعِيدَ فِعْلُ وَجَدْتُهَا إِنْكَارًا لِكَوْنِهِمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ، فَذَلِكَ مِنْ انْحِطَاطِ الْعَقْلِيَّةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ فَكَانَ انْحِطَاطُهُمْ فِي الْجَانِبِ الْغَيْبِيِّ مِنَ التَّفْكِيرِ) ([2]) فكأنه قال : تملكهم بعقلها وتتمكن من السيطرة عليهم لكنها لا تتمكن من السيطرة على شطط فكرها وضلال معتقدها ، وهو من حسن الإبداع في مقاله .

٣- التعجب من عدم شكرها فضل ما أُعطيت ، وانصرافها عن الشكر للكفر ، وهو مفهوم من قوله " وأوتيت من كل شيء " ، وانظر حسن اقتباسه واستعماله عبارة من يخاطبه للفت انتباهه ، فلقد استعمل عبارة سليمان " وأوتينا من كل شيء " هنا ليعقد المقارنة الذهنية حيث

---

[1]) وضع بعضهم كلام الهدهد تحت عنوان " جواز الاستعانة بالغيبة على تغيير المنكر، انظر:الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ،صهيب عبد الجبار٩/١٦١.

[2]) التحرير والتنوير ١٩/٢٥٣.

اجتمعا في المُعطَى ، ومع هذا اعترف وأنكرت ، وعبد وكفرت ، ووحّد وأشركت ، فكان هذا من مقتضيات تعجبه وشدة دهشته

٤- تعجبه من ترك عبادة الأبدي الباقي القادر على إخراج الخبئ في السموات والأرض إلى عبادة من يأفل ويغيب .

وفي تعجب الهدهد لفت نظر الدعاة في كل وقت وآن إلى عدم الصمت والاستسلام أمام المنكرات الظاهرة والأباطيل الواضحة ،فلا ينبغي لصوت المصلح الحر الخرس دون باطلٍ رآه ، أو منكر شاهده ، إن ألسنة الدعاة المخلصين في حلوقهم سوف تكون سوط عذاب إن لم تكن صوت إنذارٍ لكل من عصى أو تهاون وكفر .

رابعاً: التكامل المعرفي عند إعطاء المعلومة

الداعية الواعي برأيي(١)هو الذى امتلأت رأسه بأفكار قضيته ، وتشبّعت نفسه إيماناً بها ودراسة لأركانها ومعرفةً بجوانبها وأجزائها ،ومع شدة انشغاله بالعرض وتوارد الأفكار والخواطر إليه لا ينسى جانباً منها ، بل تجده ثابت القلب ، رابط الجأش ، مترع الخوف والرهبة ،أصقلته الدراسة ، وحنّكه البحث ، وشجعته طول التجربة ، فلا تلجلج ولا تلعثم ،ولا مداراة ولا تكتم ، فلديه من الثقة واليقين ما يجعله يستطرد ويستدل ويحلل ويوجه ، يجيب إذا سُئل ، ويقف إذا استُوقف ، ثم يعود أدراجه حيث وقف

١) الفكرة بتمامها ، وما تخللّ ذلك من نظمها بكامله من نسج خيط الباحث .

لاستكمال ما فات ،وشرح ما هو آت ، ينظمها كأنها حبات عِقد متناثر جمعها في حبل واحد وضمّها في تناسق تام ونظام معهود ، ونسيجٍ حبَكَه وخاطه فرؤى كأحسن ما يكون الثوب الساتر ، أما صاحب الحجة الضعيفة والفكرة المشوشة فنسيجه كثوبٍ أخرقٍ ممزق يشتت السامع ولا يقيم حكماً أو ينصر قلماً .

وقد رأينا الهدهد يجمع شتات الأمر ويرتب الفكرة وينظم القضية ويعرضها كأحسن ما يكون العرض ، فلم يفته في عرضها شيء، انه حدّد المكان وهو سبأ ، والزمان وهو وقت الشروق ، والحدث وهو عبادة غير الله، والهيئة وهى السجود للشمس ، والفاعل وهى الملكة وقومها ، والمحرِّض وهو الشيطان ، والحال وهو عدم الاهتداء للحق ، والعلاج وهو الرد إلى الصواب وعبادة رب الأرباب ، وبهذا اكتملت جوانب المعرفة لديه فوقف على أرض صلبة ، كما أنه باشر ذلك كله بنفسه مما دعاه لوصف النبأ باليقين، ونسبه لذاته لا لغيره فقال : (أحطت – جئتك – إني – وجدت – وجدتها) بما يُعرَف عند علماء الحديث – إن صح التشبيه – بصيغ التحمل والأداء ، وهو درس عظيم في الأمانة العلمية .

وانظر إلى تركيب القرآن للفعل مع الفاعل في غير لفظة مثل : (أحطت – جئت – وجدت) وما فيها من التعاون والتكامل والتناسق ، ثم معنى

الإحاطة والشمول ، ومعنى الوجد الذى يحمل معانيَ المعرفة والرؤية والإدراك والحزن والموجدة وهى الظفر بالشيء بعد طلبه ([1]) .

وقد أصاب الهدهد في عرض قضيته فأثمر ذلك الإنصات والسعي للحلّ، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية ملمّاً بفكرته وموضوعه ، بل وملمّاً بأحوال المدعوين ، عارفاً بشئونهم واستعدادهم، وطبائع بلادهم، وأخلاقهم ،ألا ترى أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن

عرّفه بحالهم فقال:(إنك تأتي قوماً أهل كتاب .....) ([2])فعرّفه البيئة وأحوالها حتى يستعد للقائها ، ويصطفى من الوسائل والأساليب المناسب لها، وليس ذلك الأمر مقصوراً فقط على الدعاة إلى الله تعالى ، بل كل من تولى المسئولية والتربية لابد له من دراسة نفسية من أؤتمن عليهم ، و(كل حاكم يريد لحكمه أن يستمر ولنظام دولته أن يستقر عليه أن يكون حريصا على الإلمام بحقيقة الأوضاع ببلاده) ([3]).

---

[1]) مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ١/٧٤٠.طبعة مكتبة لبنان ناشرون – بيروت طبعة ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.

[2]) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى " وأقيموا الصلاة وآتواْ الزكاة "٢/٥٠٥ (١٣٣١) ،ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥٠ (١٩) .

[3]) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ١/٥٥١.

خامساً : المهارة التعبيرية

لقد منح الله – تعالي– الإنسان القدرة علي البيان ، وعدّه من نعمه عليه فقال : الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ "[1] ، وخلق في لسانه القدرة علي التأثير ، حتى إن العين لتدمع ، وإن القلب ليخشع ، وإن البدن ليقشعرّ ، وإن الجوارح لتتأثر فكأنها جميعاً مرهونةٌ بكلمةٍ، لهذا كان للكلمة تأثيرُها في أداء الداعية ، فباستطاعته أن يأسر القلوب للفظه ، ويُخضع النفوس لحسن كلمه .

ولقد رأينا في حوار الهدهد مع سليمان – عليه السلام – حسن التعبير ، وجودة الصياغة ، ودقة الأداء بما يحتم علينا دراسته والتعليق عليه في الآتى :

موطنه بالقصة :

لقد أكد الهدهد أن ما لديه من مبررات الغياب يقينية ومؤكدة ولا تحتمل التأليف أو الظن أو التخمين ، ولكنها تقوم على الحقائق المجردة،ولا شك أن الهدهد هنا قام بدور الداعية الفصيح الذى أحسن عرض موضوعه ولنا أن نتعلم من عرضه الدروس التي تنفعنا.

لقد قدّم الهدهد تقريراً لسليمان – عليه السلام – عما رآه ، فجعل تقريره الوعاء الحقيقي المشتمل على ما كان ، وما ينبغي أن يكون ،وقد امتاز خطابه بما ينبغي أن يتصف به كل خطاب دعوى ، ومن ذلك : أجزاؤه

[1]) سورة الرحمن الآيات من ١-٤.

المتماسكة والمتكاملة والموجزة والكافية، كلماته الواضحة، والمعبرة، والبعد عن الغموض، أو التخمين، أو الإيجاز المخلّ، أو التطويل المملّ... الخ.

وذلك التقرير في الحقيقة هو الرسالة الدعوية التي يحملها باغ الهدى ومريد الرشاد إلى قومه ، وتحليل خطابه أعرضه فيما يلي :

التحليل الدعوى لخطاب الهدهد:

لقد تضمّن تقرير الهدهد كافة عناصر التقرير الجيد، وأولها

١-المقدمة :فلقد بدأ كلاه بمقدمة مشوِّقة ومعبِّرة عن الموضوع الذي سوف يتناوله، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ ، لقد أثار في المستمع كل قوى الاستعداد والتحدي لاستقبال ما سيأتي بعد ذلك ، فرغم إمكانات سليمان والقوى المسخرة لخدمته غابت عنه أشياء،إنها قد تُنسى سليمان ما كان من غياب الهدهد وتُلفته للأهم (لقد بدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمن إصغاء الملك له:«أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ» .. فأي ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له: «أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ» ؟! فإذا ضمن إصغاء الملك بعد هذه المفاجأة أخذ في تفصيل النبأ اليقين) ([1]) .

ورغم إيجاز المقدمة الشديد فقد تضمنت أيضًا صفةً أخرى مهمةً من أهم صفات المقدمة الجيدة، وهي إعطاء المستمع أو القارئ فكرةً عن طبيعة الموضوع، وذلك في قوله : ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ إن الموضوع جِدُّ

[1]) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٣٨.

خطير وقوام الخبر فيه الحقيقة وليس التكهن، والتخمين، والسماع ، بل التبيُّن واليقين ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾..

٢- الموضوع:

وهو إعطاء صورة كاملة لقوم سبأ ، وأهم عناصر هذه الصورة هي :

أ- نظام الحكم، وذلك في قوله : ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ فنظام الحكم ملكي .

ب- القدرة الاقتصادية، وذلك في قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾

ت- النظام الاجتماعي ووضع المرأة فيه،فقد ملكت المرأة ولعلها تُمكِّن لبنات جنسها .

ث- النظام الحضاري والصناعي ومدى تقدمه،وذلك بقوله : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾

ج- العقيدة الدينية ومدى رسوخها في نفوسهم ،وذلك بقوله: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وعمق هذه العقيدة ، وسبب هذا العمق ذكره بقوله : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ فوصف صعوبة تغييرهم وتحويلهم عن هذا الوضع إلا بخطة محكمة ومدروسة تستغرق وقتًا وجهدًا.

وقد (جَمَعَ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي أُلْقِيَ إِلَى سُلَيْمَانَ أُصُولَ الْجُغْرَافِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ مِنْ صِفَةِ الْمَكَانِ وَالْأَدْيَانِ، وَصِبْغَةِ الدَّوْلَةِ وَثَرْوَتِهَا، وَوَقَعَ الِاهْتِمَامُ

بِأَخْبَارِ مَمْلَكَةِ سَبَأٍ لِأَنَّ ذَلِكَ أَهَمُّ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ إِذْ كَانَتْ مُجَاوِرَةً لِمَمْلَكَتِهِ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ، فَأُمُورُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ أَجْدَى بِعَمَلِهِ.) ([1]) .

٣- التوصيات:

فلم يقف الهدهد عند مجرد النقل والسرد؛ بل إننا نلاحظ تدخل رؤيته وتقييمه للأمور وحكمته، والتي وصلت مداها بتوصية لسليمان يوجهه فيها لطبيعة القرار الذي يجب اتخاذه في مثل هذا الموقف ، وهو يوضح أعلى درجات الإيجابية والمسئولية والمشاركة من مقدم التقرير إلى قائده، وذلك حينما يختم تقريره بقوله: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

وهنا ينبغي أن نتوقف أمام هذا المستوى الراقي من جندي مبادر لا يكتفي بمجرد تأديته الأوامر، لكنه ومن منطلق فهمه وإيمانه برسالة المنظمة التي يعمل تحت لوائها يغضب للحق ويقترح الحل ولا ينسى مع تقديم الاقتراح أنه جندي لا قائد فتراه يقترح بأدب ويتحدث بحياء.

وفى تعقيبه بقوله " الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم " لفت لنظر الحاكم من طرف خفي بذكر موقفه أمام رب العرش العظيم يوم القيامة ، وطلب النجاة لنفسه بالعفو عن الهدهد دون أن يصرِّح بذلك خوفاً من بداءة الجفاء وسوء العاقبة ، فإنه لا يزال (إلى هذه اللحظة في موقف المذنب، الذي

[1]) التحرير والتنوير ١٩/٢٥٤.

لم يقض الملك في أمره بعد ، فهو يُلمح في ختام النبأ الذي يقصه، إلى الله الملك القهار، رب الجميع، صاحب العرش العظيم، الذي لا تقاس إليه عروش البشر ،فيلمس قلب سليمان بهذه الإشارة الخفية)([1]) .

مميزات خطاب الهدهد

ومن المزايا العامة التي تميز بها خطاب الهدهد ما يلي :

١ــ الإيجاز الوافي

فقد جمع في أسطرٍ معدودة قصته الطويلة مع هذه الملكة التي تعبد وقومها الشمس ، لأنه يدرك أنه يخاطب ملكا ، والملوك أوقاتهم مليئة بالمشاغل فلا داعي للتفاصيل والجزئيات ، ومن هنا ركز الهدهد على أصول المسائل فأوجز وأبلغ .

وعلى الدعاة والخطباء إدراك هذا ، ففضول الكلام أشد إيذاءً من فضول الطعام ، وفيه من إهدار الوقت ما لا يطاق أو يحتمل ، فضلاً عن إشعار الآخر بالثقل والبغض وعدم مراعاة المنزلة والوقت .

٢ــ براعة الاستهلال

استفتح الهــدهد خطابه بشيء عجيب ، إذ قال له :"أحطت بما لم تحط به " فقد(بدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء

[1]) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٣٩.

الملك له ... وأي ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له : "أحطت بما لم تحط به ") ([1]) .

فعلى الداعية أن يكون ذكياً بخطابه ، وأن يفلح في جذب أسماع المخاطب ، حتى يتمكن من إيصال رسالته وإنجاز مهمته . ثم سمى ما جاء به نبأً ، (والنبأ هو الخبر الذي له شأن ، والنفوس متطلعة إلى معرفته ، ثم وصفه بأنه نبأ يقين لا شك فيه ولا ريب ، فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ ، استفرغت قلب المخبر لتلقِّي الخبر ، وأوجبت له التشوف التام إلى سماعه ومعرفته ، وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج ، ثم الكشف عن حقيقة الخبر كشفا مؤكداً بأدلة التوكيد) ([2]) .

ولئن كان الهدهد بهذا الأسلوب يحاول أن ينجو من عقوبة ، فإنا نستخدمه ونطوِّرُه لنشر الخير والدعوة ، ذلك أن الكثيرين من العصاة حولنا لا يأنسون بالكلم الجاف المجرد الرتيب ، وينفرون من المواعظ المعتادة ،وللداعية الحصيف مدخل ذكي يشد به أسماعهم ويأسر ألبابهم حتى تتسلل كلمات الحق إلى قلوبهم .

٣ــ التلميح أبلغ في خطاب أولى النهى :فحين أخبر الهدهد سليمان – عليه السلام – بخبر بلقيس وقومها وكفرهم بالله ، لم يقل لسليمان : اذهب

---

[1]) في ظلال القرآن ٢٦٣٨/٥.

[2]) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،ابن القيم ٧١/١. طبعة دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨.

فمرهم بالتوحيد والسجود لله ، وإنما قال : "ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء ... " ، فالهدهد هنا ألمح بالحل ، ولم يأمر به ، اقترح ولم يفرض ، عرض ولم يصرح بالتكليف ، وبمثل هذا الأسلوب تستميل المعاند.

إن طبيعة النفس الإنسانية النفور من الأوامر الصارمة المتعددة الجازمة ، ولذا كان لزاما علينا ونحن نوجه الناس ونعظهم أن نجتنب صيغة الأمر المباشر ، مستخدمين أسلوب العرض والاقتراح ... وكم بين أن تقول لشخص : يا هذا قم الليل ألا تعلم فضل قيامه ؟ إلى متى النوم والغفلة .. وبين أن تقول له : يا أخي ، لقد وفق الله المصطفين من عباده فصفّوا أقدامهم بالأسحار مصلِّين ، فأصبحت وجوهم مشرقة منيرة ، يا ليتنا نكون منهم – من فرق .

وفى كلام الهدهد من الدروس الأمنية ما يأتي([1]) :

– إقرار مبدأ الحصول على المعلومات:

– عرض المعلومات المجمعة:

– تقييم المعلومات المعروضة وتقرير مدى صحتها:

– تحليل ودراسة المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها.

– إمداد المسئولين وإطلاع القادة على المعلومات .

---

[1]) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي١/ ٣٦٢. طبعة مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

– المباغتة والمفاجأة في جمع المعلومات وتوصيلها.

سادساً :فقه إنكار المنكر

المتأمل لحديث الهدهد مع سليمان – عليه السلام– يلحظ أنه غضب غضباً شديداً لما رأى من منكر بلقيس وقومها وعبادتهم الشمس من دون الله – عز وجل – وهذا شيء بيِّن ، فقد ساءه ما رأى ، وتمعّر وجهه لذلك وحمي أنفه ، ومازال بهم وبسليمان حتى دخلوا جميعا في الإسلام وزال هذا المنكر ، فهل نجد في واقعنا صدىً لهذه الخصلة ؟ لقد أهلك الله – تعالى – قوماً رضواْ بالمنكرات بينهم ، وعاشرواْ أهلها وخالطوهم ولو لم يأتواْ ما أتوه ، فقال: " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لبأس مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ،تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لبأس مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(١).

ومن فقه إنكار المنكر في القصة أن الهدهد لم يتحدث إلا عن الشرك الذى رآه ، فلم يذكر سواه ، ولا شك أن الذى يقع في الشرك لا يسلم من مخالفات أخرى كثيرة ، لكنك ترى الهدهد هنا لم يذكر سوى الشرك لأنه موطن الداء الحقيقي فلا بد من البدء به ، إذ لو تمت معالجته عولجت الكثير

١) سورة المائدة الآيات من ٧٩–٨١.

من المخالفات ، ولا معنى لعلاج غيره مع وجوده إذ ليس بعد الكفر ذنب ، وهذا من حكمة الداعية أن يبدأ بالضروريات،والملاحظ أن الهدهد لم يصمت حيال ما رأى بل كان إيجابياً لا يعرف السلبية .

حكمة الهدهد في إنكار المنكر :

لقد وضع الهدهد يده على موطن الداء الرئيس الذى ينبغي أن تبدأ معالجته أولاً ، ومن ثم يتدرج الداعية في علاج ما تلاه من أمراض ، ونحن نرى النبي – صلى الله عليه وسلم – قد بُعث في قوم لديهم من المنكرات الخلقية مالا يخفى ، لكنه بدأ دعوتهم بالتوحيد وترك عبادة الأصنام ،مؤجلاً الحديث عن سوء صنيعهم ورداءة خلقهم حتى تحين الفرصة ويحل الوقت.

وفى صنيع الهدهد توسط وإيجابية ، أما التوسط فلم يهجم على من رآهم هجوماً ولم يعدّد ما بهم – على كثرته– لئلا يشعر السامع بخصومة بينه وبينهم ،إنه لم يركز على شخصهم بقدر ما ركّز على سوء صنيعهم .

وأما الإيجابية فحيث أنكر ما رأى ولم يصمت ، لقد شاهد إبان طيرانه هذا المنكر العظيم ، فلم يقف موقفاً سلبياً ، وإنما ذهب وتحرك وتقصّى ، وألقى بالنبأ إلى سليمان عليه السلام ، باذلاً بذلك كل وسعه في تغيير المنكر،ضاربا أروع المثل في الإيجابية العملية .

لقد فعل الهدهد ذلك كله دون تكليف مسبق ، وهو ما يفتقده اليوم كثيرٌ منا من نحو المبادرة إلي العمل والمسارعة إلي البذل ، والتحرك قبل التكليف بلا تثاقلٍ أو بطءٍ إعذاراً إلي الله ، وثقةً في النفس ، وسعياً للإصلاح

إن التواضع الكاذب المصطنع ليس إلا فراراً من البذل ، ونكوصاً عن العطاء ، والمؤمن الحق باذل إيجابي لا يعوقه شيء عن البذل والعطاء .

سابعاً : الذكاء وحسن التخلص

كثيراً ما يتعرض الداعية لبعض المواقف السيئة التي تحتاج إلى حسن التخلص منها بالذكاء في المعالجة ،والداعية من ذلك على المحكّ ، فإما أن يُحسن التخلص فيمر الأمر مخلِّفاً الثقة والتمكن ، وإما أن يسيء ويسقط فيتخلف عن الركب وتهتز الثقة وتتردد الكلمة في حلقه بعد ذلك لا يجد لها مسلكاً ، ومن ثم وجب عليه أن يكون قوى الحجة حاضر الذهن ، وفى القصة هنا ما يؤكد حسن التخلص عند الداعية .

فلقد وقع الهدهد في إشكال ، حيث تفقده سليمان فلم يجده ، وقد بلغه ما توعده به ، لكنه كان شديد الذكاء ،حين لفت نظر قائده – السائل عنه– إلى الأهمّ من غيابه، حيث تلبّث الغير بشركٍ ، ووجود مُلكٍ يقارب مُلكَهُ ، فلفت نظره وشغل قلبه ، وهنا اطمأن الهدهد بعض الشيء فجعل يسترسل بالكلام دون انقطاع ،ولعلك ترى أن سليمان – عليه السلام – تركه يسترسل وهو يستمع إليه لخطورة ما جاء به ، ومن شواهد حسن التخلص في السنة ما جاء عن عمران رضي الله عنه قال: (كنا في سفرٍ مع النبي صلى الله عليه وسلم، فاحتجنا الماء ، وإذا هو عند امرأة ، فلما اشتكى إليه الناس من العطش، نزل فدعا فلاناً ودعا علياً فقال: اذهبا فابتغيا الماء.فانطلقا، فتلقياها ، وقالا لها: انطلقي معنا ، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم.قالت: الذي يقال له: الصابئ – وكانت المرأة مشركة – قالا: هو الذي تعنين ...) (١) ، فمن التخلص الحسن أنهما قالا: "هو الذي تعنين".

لأنهما لو قالا: لا، ليس بالصابئ، وأنكرا عليها، لخافت وشردت ورفضت أن تأتي معهما، وفات المقصود، ولو قالا: نعم، لوافقاها على الباطل، والنبي عليه الصلاة والسلام ليس صابئاً، فتخلصا هذا التخلص الجميل بقولهما: هو الذي تعنين. وهكذا تخلص الهدهد – بالصدق – من موقفه حين لفت انتباه الملك للأهم وشغله بما يدور حوله .

وفي هذا درسٌ عظيمٌ للدعاة إلي الله – تعالى – بتعلّم حسن التخلّص – بالصدق – لا بالكذب حين يعرض لهم ما يقتضي .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب: الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء ، ١ / ٧٦ ، رقم ٣٤٤ .

المبحث الرابع : حكمة سليمان عليه السلام في الدعوة

وستظهر الآيات التالية ممارسات الحكمة الدعوية عند نبي الله سليمان عليه السلام والتي أثمرت إشراك سليمان عليه السلام لسائر جنده معه في مباشرة الدعوة ، كما أسفرت عن إسلام ملكة سبأ حتى أعلنت ذلك على الملأ .

قال تعالى : " قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ

قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) " .

ومن مظاهر الحكمة الدعوية عند سليمان – عليه السلام – ما يلي:

أولاً : اهتمام القائد المسلم بنصرة الدعوة: وبذل الوسع في تبليغها لكل مكلف، إذ ليس من الحكمة في شيء أن يتوانى الداعية عن أداء الرسالة والقيام بالحق وقد مُكِّن له ذلك ، وأنت ترى سليمان – عليه السلام – لما استمع إلى خبر القوم المشركين شمّر عن ساعد الجد في إيصال البلاغ إليهم،ولم يتوان ، وقد أشارت الآيات الكريمات لهذا ، فبعد فراغ الهدهد فوراً من خطابه شرع في الدعوة وسلك الطريق إليها، مستخدماً وسائلها، مرسلاً كتابه إليهم : "اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ"(١) ،ففي الآية دليل على اهتمام الراعي بالاستعلام عن رعيته

(١) سورة النمل الآية ٢٨.

من منطلق مسئوليته ،واستخدام الوسائل والأساليب المناسبة لنشر الدعوة فيهم، وفيها أيضاً (دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعائهم إلى الإسلام، وقد كتب النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار) ([1]) كما أن أمر الهدهد بالتعرف عليهم وإلقاء الكتاب إليهم ، ثم البعد وانتظار النتائج إشراك للجميع في مسئولية الدعوة ، وتنشيط لأجهزة الدولة ، وعمل أمنى على نطاقٍ واسع . إذ (لابد للدولة المسلمة من الاهتمام بالأجهزة الأمنية الاستخباراتية ، والحرص الشديد على الاهتمام بالأخبار والمعلومات ، وتوظيفها لخدمة الدين والدعوة ونشر المبادئ السامية والأهداف النبيلة، وتهيئة النفوس للظروف المناسبة لإقامتها للدين وإعلاءً لكلمة الله) ([2]) ، وهكذا كان شأن سليمان – عليه السلام–الاهتمام والإقدام ، وهو ما ينبغي على الدعاة في كل عصرٍ تعلمه .

ثانياً : عرض الدعوة بعزة وشرف

شأن المؤمن دائماً العزة والشرف قال الله – تعالى – " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" ([3]) إنه لا يخنع ، ولا يركع إلا لربه ، يعتز بعبوديته لله ، ويري أنها العزة الحقيقية ولو كانت يده فقيرة

[1]) تفسير القرطبي ١٣/ ١٩٠

[2]) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه) ١/ ١٥٦.

[3]) سورة المنافقون من الآية ٨.

فهو بالله غنى ،إنه يستعلي بإيمانه على سفاسف الأمور وجميع التصورات الجاهلية ، إنه يستشعر العزة من شرف ما يدعواْ إليه ، إنه يعتز بدينه فلغته لغة القرآن ، ولباسه لباس أهل الإيمان ، لا يتهاوى أمام الأباطيل ، ولا تغرّه زخارف الدنيا ، بل يستمد نصره وقوته من قوة خالقه وقوة ما يدعواْ إليه ، وإذا كان هذا شأن المؤمن فالداعية المؤمن أولى بهذه المعاني ، فعليه أن يعرض دعوته بعزة وفخر ، دون تهيِّب أو خوف ، وبلا تذللٍ أو مداراة ، ولا مداهنة فيما يغضب الله .

إن المتأمل لكتاب سليمان – عليه السلام – إلى تلك الملكة يراه قد بدأ بالإفصاح عن نفسه والنص على اسمه ، ولعل ذلك ورد على ظهر الكتاب وغلافه (فاللَّائِقَ بِسُلَيْمَانَ أَنْ لَا يُقَدِّمَ فِي كِتَابِهِ شَيْئًا قَبْلَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ مَعْرِفَةَ اسْمِ سُلَيْمَانَ تُؤْخَذُ مِنْ خَتْمِهِ وَهُوَ خَارِجُ الْكِتَابِ فَلِذَلِكَ ابْتَدَأَتْ بِهِ الآية والملكة) ([1]) وقد زادت العزة وضوحاً في كتابه حين بدأه بذكر اسم الله – تعالى – وصفة الرحمة فمبدؤه الرحمة، وأوسطه الكرامة، وآخره الدعوة إلى الاستجابة لله والاستسلام له سبحانه: " إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" ([2]) .

وعلى الدولة المسلمة أن تهتم بتعظيم اسم الله تعالى، والتشرف بذكره في المحافل والمناسبات والكتابات، فهذا شعار المؤمنين، وتنزيه هذا الاسم المقدس

---

[1]) التحرير والتنوير ٢٥٩/١٩.

[2]) سورة النمل ٣٠ –٣١.

عما لا يليق به، والحفاظ عليه من جهل الجُهّال؛ ولهذا قدم سليمان عليه السلام اسم الله – تعالى – في كتابه على الدعوة وشأنها، ومن شرف الملك وعزته هنا أنه لم يطل الكتابة إليها ، بل أوجز فأعجز واقتصر في كتابه على التحية والدعوة – وسيأتي ذلك بالتفصيل .

ثالثاً : مباشرة القائد للمهام العظيمة بنفسه

فلم يكتفِ عليه السلام بوزرائه ومساعديه في تسيير مهام مملكته من التفقد والكتابة والاختيار وغيره ؛ بل باشر ذلك بنفسه حين تفقد بنفسه الطير ، وحين كتب كتابه لبلقيس يدعوها ، وحين ألقى أوامره وتوجيهاته للهدهد ولم يسق لذلك بعض وزرائه ، وإنما تولاه بنفسه ،وحين مايز واصطفى من رعيته من يأتيه بعرش الملكة ، ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، وقد قال : (لو أنَّ سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليُسأل عنها عمر . فرضي الله عنه وأرضاه ، فقد كان من عادته تفقد أحوال رعيَّته، وأحوال أمرائه بنفسه) ([1]) .

وهذه همسة مُحب في أذن كلِّ والد تهاون في تفقُّد أولاده وفرَّط؛ فلا أشغالك بأعظم من مشاغل سليمان، ولا أولادك بأكثر من جند سليمان، ومع ذلك قال : "ما لي لا أرى الهدهد" . قال عليه الصلاة والسلام : (ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيَّته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيَّته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة

[1])تفسير القرطبي(١٧٨/١٣)

راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيِّده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيَّته)([1]) .

رابعاً :قبول الراعي أعذار رعيته المعقولة وحفظ كرامتهم:

من شيم الصالحين والفضلاء قبول الأعذار عند وجود الإنكار ، ولا أحد أحبّ إليه قبول الأعذار من الله تعالى ، ومن تمام خلق الراعي وحسن صفته قبوله عذر المعتذر والصفح عن خطئه ،وهو عين ما صنعه سليمان – عليه السلام – فحين سمع سليمان عذر الهدهد في غيابه لم يردّه ولم يكذّبه ، بل قال مثبتاً لكمال عقل الهدهد ورزانته :" سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين " . وفي هذا دليل على أنَّ الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيَّته، ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم،وله (أن يمتحن ذلك إذا تعلَّق به حكم من أحكام الشريعة كما فعل سليمان عليه السلام مع الهدهد حيث تبيَّن له بعد ذلك صدق ما جاء به وبراءته من الكذب)([2]).

ولعل صدقه هذا وحرصه على الدعوة إلى الخير وتوحيد الله وتسبُّبه في إسلام ملكة سبأ وقومها، كان سبباً والله أعلم في النهي عن قتل بني جنسه، كما جاء ذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (نهى النبي

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالْحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ ، بَاب الْعَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا بِإِذْنِهِ٨/٢٥٣(٢٢٣٢)

٢) انظر تفسير القرطبي(١٣/١٨٩)، وتفسير السَّعدي(ص٧٠٦)

صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعٍ من الدواب، النملة والنحلة والهدهد والصُّرَد)([1]).

وهكذا ينبغي أن تُحفظ وتُصان كرامة الدعاة الآمرين بالقسط وأهليهم ومن صلح من ذرِّياتهم . ولكن للأسف حالنا اليوم يشهد عكس ذلك من تضييق على الدعاة العاملين وتعذيبهم، بل وقتلهم في بعض البلاد والله المستعان، وقد قال الله –تعالى– :" إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ " ([2]) .

---

١) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ الصَّيْدِ، بَابُ مَا يُنْهَى، عَنْ قَتْلِهِ ٢/١٠٧٤ (٣٢٢٣) عن أبي هريرة ، وعند أبي داوود عن ابن عباس رضي الله عنهما باب فِي قَتْلِ الذَّرِّ.٤/٥٣٨ (٥٢٦٩)انظر : سنن أبي داود ،طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت ، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٦٩٦٨)

و (الصرد) طائرٌ فوقَ العصفور يصيد العصافير، ضخم الرأس يكون في الشجرة نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار، له برثن عظيم لا يُرى إلا في سفعة أو شجرة، لا يقدر عليه أحد، وهو شرس النفس شديد النفرة ، غذاؤه من اللحم، والأصح تحريم أكله.انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري ١/٦١٢،وإنما نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قتله لأن العرب كانت تتشاءم به، فنهى عن قتله ليخلع عن قلوبهم ما ثبت فيها من اعتقادهم الشؤم فيه، لا أنه حرام.انظر تحقيق شعيب الأرنؤوط علي سنن ابن ماجة٤/ ٣٧٧، طبعة دار الرسالة العالمية ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ .

٢) سورة آل عمران ٢١–٢٢.

خامساً : التدرج في معالجة الخطأ

للثواب والعقاب في إدارة الأمور وتحسين نتائجها دور كبير وأثر عظيم ، وكم جاءت آي القرآن الكريم بالبشارة لمن أحسن والنذارة لمن أساء ، وكم في تذكر النعيم المحيط بأهل الجنة ، وكذا العذاب الأليم المعدّ لأهل النار من مشجع على الخير ومحبط عن عمل الشر ، لكن بعض من يمارسون هذه الأساليب من المربين يسير في طريقه بين الإفراط والتفريط ، فمنهم من يرفع سيف العقاب والردع والتخويف على طول الخط، ومنهم من يغمده على طول الخط،وفي كليهما شطط وانحراف ، والحق هو الموازنة بينهما بما يتضح في الآتي :

موطنه بالقصة :

وقد بدت في هذه القصة أعلى درجات الموضوعية والعدل والحكمة في هذه الناحية ، ويظهر ذلك في الآتي:

١- عدم ترك الأمر فوضى، ليفعل كل فرد ما يحلو له دون حساب أو مساءلة وعقاب.

٢- عدم إعلان العقاب المنتظر إلا بعد التأكد من موجبه ،فلم يعلن العقاب إلا بعد أن تأكد له غياب الهدهد، وأنه ليس مجرد اختفاء مؤقت.

٣- تراوح العقاب المعلن والمنتظر بين درجات.

٤- ضرورة ألا يطغى الانفعال على العقل ولا الغضب على العدل.

٥- أن يكون العقاب على قدر الخطأ.

٦-التحقيق والمحاكمة،وإعلان الادعاء، وسماع الدفاع، وإعطاء الفرصة كاملة لكليهما وبشكل عادل ومحايد ؛ للوصول إلى الحقائق .

٨- ضرورة وجود ما يسمى بلائحة الجزاءات، وتوافر النظام الكامل والواضح للحوافز، مع إعلانها وشهرتها للجميع .

سادساً: عدم بناء القرارات إلا على حقائق

إنّ الظنّ أكذب الحديث ، ولا يغني عن الحقّ شيئاً ، وليس من العدل أن تتعلق به أحكام عقابية ولا قرارات مصيرية ، وقد رأينا سليمان – عليه السلام- يتمهل في عقوبته للهدهد لكون الموجب لها لازال ظنيّاً وليس محقّقاً، وكذا شأن الملكة وعبادتها فلم يعتمد فيه خبر الواحد حتى تيقنه .

لقد تمهل سليمان – عليه السلام- في الحكم والقرار حتى يتبين ، " قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ "، وهذا درس عظيم في الإدارة حيث لا يمكن للقائد أن يبني قرارًا- خاصة إذا كان مهماً يتعلق بالآخرين إلا عن بينة وحقائق لا تحتمل أي لبسٍ أو تخمين .

وما قاله الهدهد لا يزال بالنسبة إلى سليمان مجرد افتراض يحتمل الصواب أو الخطأ، ومن ثم لا يجب أن يبني عليه حكمًا أو قرارًا إلا بعد تحويله إلى حقيقة، وهذا يحتاج إلى تبين وتأكد ودراسة واختبار لصحة الافتراض من عدمه.

ويجب البعد في ذلك عن العواطف والانفعالات والنواحي الشخصية،وهذا بالضبط ما فعله سليمان عليه السلام مع الهدهد؛ حيث قال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾ أي سوف نتبين مدى صحة ما تدعيه، وحينئذٍ يتم اتخاذ القرار المناسب، ليس فقط بشأن الهدهد وعقابه أو ثوابه، وإنما بشأن القرار الأهمّ وهو المتعلق بقوم سبأ هؤلاء وما يجب اتخاذه حيالهم، وهو قرارٌ مهمٌّ يتطلب وضع خطة على أعلى مستوى لتحويلهم.

سابعاً : إصابة الداعية الهدف من أقصر طريق

لم يكد سليمان عليه السلام يسمع مقالة الهدهد حتى بدأ في العمل دون إضاعة للوقت؛ حيث انصبَّ تفكيره على أمرين:

الأول: التأكد مما ساقه الهدهد من معلومات

الثاني: رسم خطة عمل على أساس علمي ومدروس؛ليسوق فكرته وليبيع بضاعته وليأخذ بأيديهم إلى الدخول معه في دين الله الذي يؤمن به ويعمل له ويعيش من أجله.

والعجيب أن القائد الفذ سليمان عليه السلام اهتدى لوسيلة تخدم الغرضين معًا، وهي أن يرسل الهدهد نفسه برسالة يحملها إلى ملكتهم ويرقب من بعيد ماذا يفعلون ويرجعون.. ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْكُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾

فكأنه عليه السلام إنما أراد أن يتيقن من صدق الهدهد أو كذبه، من خلال هذا الكتاب "الرسالة" وفي نفس الوقت يتعرف على ردود أفعالهم تجاهها وطريقة تفكيرهم وأسلوبهم، ويمهد في نفس الوقت لعملية التغيير التي بدأ التخطيط لها،وذلك بإحداثه نوعًا من لفت الانتباه الشديد لهم إلى شيء آخر يجهلونه أقوى منهم،وأقدر عليهم، فهو يصل إلى ما لا يمكن أن يصل إليه أحد بسهولة، وهو مخدع الملكة نفسها..

ثامناً : رسالة سليمان نموذج لرسالة الداعية العاقل

حمل الهدهد الرسالة، وأدى المهمة على خير وجه وبإتقان شديد، حكي الله تعالي ما فيها بقوله : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـــــــنِ الرَّحِيـــــــمِ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾([1]).

وسنقف الآن أمام أعظم نموذج لرسالة صاغها سليمان عليه السلام كما أوردها القرآن الكريم على لسانه، فالرسائل لها أصول في كتابتها،وترتيب لأجزائها ، وهدف سيقت لأجله ، وكل ذلك يجب أن يتحقق مع غاية الإيجاز الذي لا يخلُّ بالمعنى المراد مع بساطة ووضوح ، إنك تجد (فحوى الكتاب في غاية البساطة والقوة. فهو مبدوء باسم الله الرحمن الرحيم. ومطلوب فيه أمر واحد: ألا يستكبروا على مرسله ويستعصوا، وأن يأتوا

[1]) سورة النمل ٢٩ – ٣١.

إليه مستسلمين لله الذي يخاطبهم باسمه) ([1]) فلم يتكلّف ولم يُطل ، بل كان خطابه (في غاية الوجازة مع البيان التام حيث تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها ، والانقياد لأمره والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب) ([2]).

. ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾.. هكذا كان افتتاح الرسالة في أعلاها، يحدِّد فيه:

– ممن الرسالة.

– ولمن.

– الموضوع بإيجاز

﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ .. هذه هي نهاية الرسالة ، وكل ما يتعلق بها تم إيجازه بهذا الشكل المركز جدًّا دون إطالة .

وفيه تظهر شخصية المرسل عن طريق شيئين :

الأول: النهي

﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ﴾أي عليهم أن يلزموا حدودهم ولا يتعدوا قدرهم، ويعودوا إلى صوابهم ويلزموا عقلهم ورشدهم، ويُنزلوا الآخرين قدرهم،

---

[1]) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٣٩-٢٦٤٠.

[2]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١/ ٦٠٤ طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

ويعطوهم مكانتهم التي تعلوهم، ويعرفوا قوتهم التي لا طاقة لهم بها والتي يستمدونها أصلاً من قوة الله الرحمن الرحيم.

الثاني: الأمر

﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾فبناءً على ما سبق ليس لكم إلا أن تأتوا إليَّ مذعنين، مسلمين، دون قيد أو شرط، أو تأخير، وكما هو واضح فإن الرسالة– رغم شدة إيجازها– تضمنت من الحزم والحسم في كلماتها القليلة ما يجعلها تحقق الهدف الذي صيغت من أجله، وهو ذلك المتعلق بالتأثير في نفسية الملكة ومن معها.

تاسعاً : الكتابة وتفضيلها على الإرسال الشفهي في المهمات

الكتابة ن أهم وسائل التبليغ ، وفيها يجمع الكاتب للقارئ الأدلة ويحشدها نحو تأييد ما يريد بخطابٍ مؤثرٍ مفيدٍ للعقل ملهبٍ للحسّ ، وقد جعل الله – تعالى – لأهل الديانات الكبرى كتباً يرجعون إليها كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، وهو بهذا يشرع للدعاة أنجح الوسائل في الإفادة، وأنفع الطرق للتأثير والريادة ، فعلى الدعاة إلى الله – تعالى – في كل عصرٍ أن يتخذواْ من الوسائل أنفعها ، ومن الطرق أقربها ، وأن يصطفواْ لكتبهم الأسلوب الأفضل والمنهج الأكمل ، ولقد رأينا ذلك واضحاً في قصة سليمان – عليه السلام –

فلقد استخدم سليمان الكتابة وفضّلها على غيرها من وسائل التبليغ المختلفة ، وقد كان عندَه مَن يبلِّغ الرسالة على تمامها . مِن عِفريت ومِن

بعض مَن عنده علمٌ ْ من الكتاب فرأى (أنَّ الكتابَ أبهى وأنبَلُ وأكرمُ وأفخمُ من الرسالة عن ظهر لسان وإن أحاطَ بجميعِ ما في الكتاب وقالت مَلكةُ سَبَأ يَا أَيُّها المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِليَّ كِتَابٌ كرِيمٌ) ([1]) ، وهذا مما يدل على استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا وأهمية ذلك في التوثيق والتأكيد والإحاطة ، كما أنه أوقع في تكريم المرسِل والمرسَل إليه وأحضر لشخصياتهم ، إن القلب الصادق حين يقرأ كلام الله – تعالى – بصفاء وحسن استقبال كأنه يرى ويسمع ، وفى الكلام المكتوب ما ليس في الكلام المنطوق .

[1])الحيوان ،أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج١ ص ٩٧، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،طبعة دار الجيل لبنان ، بيروت سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث :

من الفوائد العامة التي يمكن للداعية استفادتها وتعلمها من قصة سليمان عليه السلام والهدهد مايلي:

أ) القصة القرآنية من أعظم الوسائل الدعوية ، وأكثرها فائدة ، وأشدها تأثيراً .

ب) عند رؤية الهدهد لقوم يشركون بالله غضب وذهب فوراً إلى سليمان داعياً إلى الله ، واليوم يرى العالم أقواماً يعبدون البقر ولا يحركون ساكناً.

ت) نقل الهدهد الصورة كما كانت ولم يحكم عليهم ، بل ترك الحكم لسليمان عليه السلام، وفيه التزام بالمهمة وعدم التجاوز ، والاعتراف بالأقدار .

ث) حين أرسل سليمان– عليه السلام – الهدهد إلى قوم بلقيس لم يحرف ولم يبدل بل أدى الرسالة كما كانت.

ج) ولنتأمل أنهم أشركوا بالله وسجدوا للشمس ، ومع ذلك لم يشتمهم ولم يقبّحهم ، لأن السبَّ ليس من صفات الداعية المسلم ، فهدفه الأول أن يقيم التوحيد.

ح) استخدم الهدهد القاعدة الفقهية المشهورة "إذا تزاحمت المصالح يقدم الأعلى من المصالح " فقدم الدعوة إلى الله على الحضور عند سليمان.

خ) في القصة دليل على أن الذي يعلم حجة على الذي لا يعلم.

د) في القصة دليل على سموا أخلاق الأنبياء وتواضعهم ، واعترافهم بالآخر ، وقبولهم لرأى المخالف مع دعوته .

ذ) فيها دلالة على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب.

ر) فيها دليل على أن الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد.

ز) من تواضع سليمان – عليه السلام– أنه ومع كونه ملكاً ، لم يذكر مدحاً قبل الاسم أو بعده ، بل ذكر اسمه مجرداً، وهذا من كمال تواضعه ، وشدة أدبه .

س) قبول عذر المعتذر رجاء صلاح الدنيا وأجر الآخرة ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ولذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين.

وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم ، سبحان من أنزله

ثانياً : المصادر البشرية

١) أساس البلاغة ، الزمخشرى ، طبعة دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

٢) أصول التربية الإسلامية د/ سعيد إسماعيل القاضي ، طبعة دار عالم الكتب .

٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع د/ عبد الرحمن النحلاوى ، طبعة دار الفكر – دمشق – الطبعة الثالثة ٢٠٠٤ م

٤) البداية والنهاية ، ابن كثير ، طبعة دار المنار الطبعة الأولى سنة٢٠٠١م .

٥) البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، مكتبة المعارف – بيروت .

٦) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،الفيروز آبادي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة الطبعة الخامسة سنة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٧) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، طبعة دار الهداية.

٨) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ،مكتبة الصحابة،

الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١

٩) التحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور التونسي ، طبعة الدار التونسية ١٩٨٤ م ،

١٠) تذكرة الدعاة ، البهي الخولى ، طبعة مكتبة دار التراث الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٧م .

١١) تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، طبعة مطابع أخبار اليوم.

١٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)محمد رشيد بن علي رضا ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.

١٣) تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

١٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، طبعة دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ ه

١٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ،أبو البركات عبد الله النسفي ، طبعة دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨. .

١٦) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .١٩٨٩م.

١٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٨) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله ،دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

١٩) حياة الحيوان الكبرى ،كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٢٠) الحيوان ،أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،طبعة دار الجيل لبنان/ بيروت ،سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

٢١) الحيوان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون طبعة دار الجيل سنة ١٩٩٦م لبنان/ بيروت

٢٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث ، بيروت + القاهرة ، الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

٢٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق علي عبد الباري عطية ، ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ

٢٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٥) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، طبعة دار الحديث– القاهرة ٢٠٠٦م.

٢٦) شرح صحيح البخاري ، مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري ،طبعة دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢

٢٧) شرح صحيح البخاري ،ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، طبعة مكتبة الرشد السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ٢٠٠٣م

٢٨) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،ابن القيم ، طبعة دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨.

٢٩) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، ط دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

٣٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، طبعة دار العلم للملايين – بيـــروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م .

٣١) صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، طبعة المكتب الإسلامي – بيروت .

٣٢) صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٣٣) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله ، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة ، طبعة دار الدعوة بالكويت ، دار الوفاء بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

٣٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٣٥) فتح القدير ،محمد بن علي الشوكاني ، طبعة دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ

٣٦) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، طبعة دار العلم والثقافة .

٣٧) في ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، طبعة دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ .

٣٨) فيض القدير، المناوى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م

٣٩) القاموس المحيط ،محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٤٠) القرآن الكريم ، سبحان من أنزله

٤١) القصة في القرآن الكريم ، أ.د/ محمد سيد طنطاوي ، سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة٢٠٠٧م .

٤٢) قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل ،أ.د/ محمد بكر إسماعيل ، طبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٩٩٧م .

٤٣) لسان العرب ، ابن منظور ، المحقق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة .

٤٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد بن عطية الأندلسي ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ ه

٤٥) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة الطبعة السابعة سنة ١٩٥٣م .

٤٦) مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، طبعة مكتبة لبنان ناشرون – بيروت طبعة ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.

٤٧) المستفاد من قصص القرآن الكريم د/ عبد الكريم زيدان ، طبعة مؤسسة الرسالة ن الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٤٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت.

٤٩) مع قصص السابقين في القرآن الكريم ، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي ، طبعة دار القلم – دمشق – الطبعة الخامسة ٢٠٠٧.

٥٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن ،أبو محمد البغوي ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧.

٥١) معالم تربوية " التربية بالقصة " ، مصطفى الطحان ، طبعة دار الوفاء بالمنصورة – الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .

٥٢) معاني القرآن الكريم ،النحاس ، ط جامعة أم القرى – مكة المكرمة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ ه .

٥٣) المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ،طبعة دار الحرمين – القاهرة .

٥٤) المعجم الكبير ،أبو القاسم الطبراني ، طبعة مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية.

٥٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الحديث ، الطبعة الرابعة ١٩٩٨م.

٥٦) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار ، طبعة دار الدعوة ،تحقيق : مجمع اللغة العربية

٥٧) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الفكر ، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٨) مفاتيح الغيب ،أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٥٩) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ، طبعة مكتبة الصفا، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٦٠) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، طبعة دار المعرفة ، لبنان

٦١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية ، ١٣٩٢م

٦٢) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، طبعة دار الشروق رقم ١٦ سنة ٢٠٠٤ م .

٦٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ،ابن الأثير ، طبعة المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م